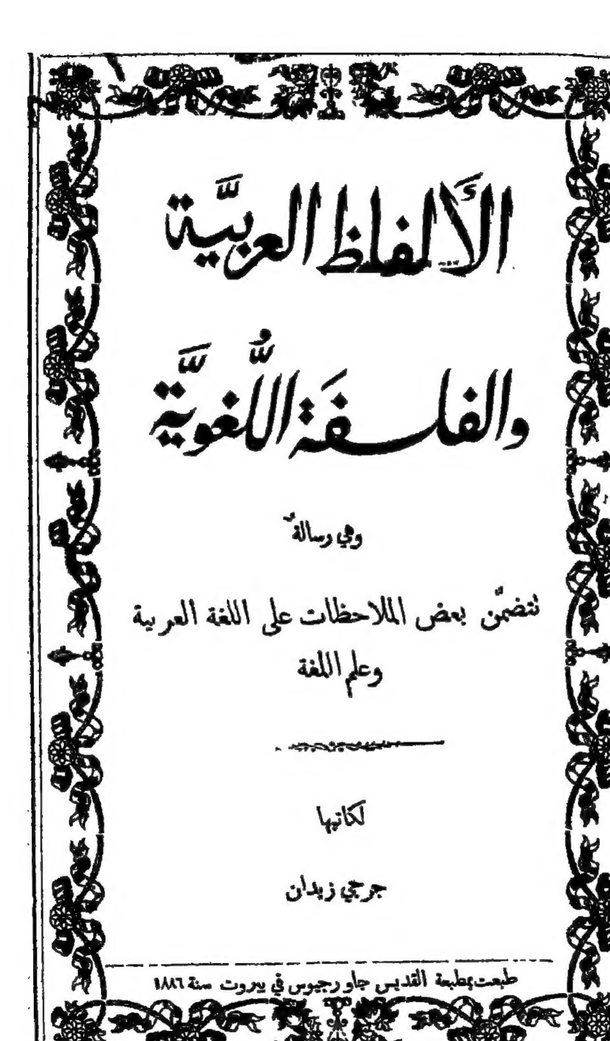


الألفاظ العربيّة والفلسفة اللّغويّة

وهي رسالةٌ

تتضمّن بعض الملاحظات على اللغة العربية وعلم اللغة

لكاتبها

جرجي زيدان

طبعت بمطبعة القديس جاورجيوس في بيروت سنة ١٨٨٦

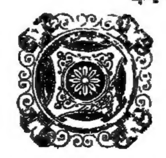
باسم الله مفرّق اللغة

المقدمة

هذه عجالة ارفعها الى اهل النظر والتحقيق لينظروا فيها فان اعجبهم مثالها تقدمتُ اليهم ان يزيدونا من مثلها مما تعمّ به الفائدة وتشحذ له الاذهان فاني عالم ان الموضوع رحبٌ لا يتكفل باستيفائه الا المجلدات الضخمة واعلم ايضًا ان في السوبلاء رجالاً لهم من العلم وسعة الاطلاع في اللغة وغيرها ما يؤهلهم لبسط الكلام في هذا الموضوع باكثر مما بسطتُ والايضاح فيه باكثر مما اوضحت وربما كان ما استوقفهم الى الان عن البحث من هاته الوجهة التي بحثت فيها ليس الاّ خوف ان لا يجدوا من القرّاء من يقدّر لهم موضوع ابحاثهم حق قدره ويقبل عليه بما هو اهل له من الامعان والتروي وربما كان لخوفهم هذا موضوعٌ يقضي عليهم معهُ بالتوقف اذا نظروا الى عائدته المادية ازاء ما يضحون من الوقت اثناء الكتابة والتاليف الاّ انّ امثال هولاء الافاضل قد لا يعبأُون بما يعود عليهم من الفوائد المالية وذلك حبًّا بالعلم وتنويرًا للاذهان ويجتزئون من كل ذلك بما يكون من الفائدة الادبية لعموم افراد الهيئة التي هم بينها وهم في الغالب يدركون كلا الغايتين ولا تفوتهم احدى الفائدتين اذا مرّ عليهم من الزمن ما تتنبه لهم اثنائه اذهان القراء من مواطنيهم او خلافهم. وعليه اعود فاتقدم اليهم ان يزيدونا في هذا الموضوع زادهم الحق علمًا وخبرًا وان يواخذوني بما وقع مني من الخطاء فيصلحوهُ وينتدلوا عليّ حيث يجدون محلاً للانتقاد حبًّا ببيان الحقيقة واكون لهم من الشاكرين ولا يُزعم لي اني اقول ما اقول ايهامًا وتمويهًا

فمعاذ الله الاّ ان اشكر لاهل فضلٍ وعلمٍ فهم كشف الحقائق واجلاؤها حق الجلاء من اين انت واحسب لهم عليّ في ذلك منةً يكاد لا يستطاع ايفاؤها فاني عالم بقصور باعي وامكان تطرق الخطا والخلل الى ما كتبت او ذهبت اليهِ وان كنت لا ارى محلّ ذلك الان. هذا ولا انكر اني كتبت ما كتبت على غاية من السرعة فلم اتمكن من الوقت الكافي لمزيد النظر والتامل في مراجعة ما كتبت وتصفيتهِ من شوائب الغفلة والنقصان فربما غفلت في مواضع عن ذكر ما كان يهمّ او يجب ذكره وذكرت في اخرى ما كان جديرًا ان لا يذكر او لا دخل لهُ بالموضوع واكثر من ذلك اني تارك الكتاب وهو لمّا ينجز عن اخرهِ ووكلت الى احد الخلان مراقبة نجاز الطبع الاخير والتجليد والتوزيع وكل ذلك لما تدعوني اليهِ الدواعي من مزيد السرعة (لاني على شفا رحلة بعيدة الشقة) وفي جميع هذا ما يوجب لي بعض العذر لدى اهل الفضل المحققين الذين رغبت اليهم في المواخذة والانتقاد تجلية للحقيقة وتمحيصًا لها

وهنا اسأل فضل القراء ان يرمقوا سطيراتي هذه بعين القبول ويوجهوا اليها وجه المقبل لا اقول ذلك حبًا برواج البضاعة غاية الربح انما حبًّا مني باطلاعهم على هذه الملاحظات فينظروا لمأخذي الذي اخذت بهِ في اللغة فاعلم ان كنت اصبت ام اخطأت او كان كلا الاصابة والخطأ معًا مع بيان مواقع كلٍّ منهما . واتوسل الى الحق ان ترجح مواقع الاصابة على مواقع الخطأ وان يفيد الكتاب بعض الافادة اقلهُ في توجيه الانظار الى هذه المباحث من الجهة التي اخذت بها وهو حسبي واليهِ انيب



اللغة

اللغة اصواتٌ يُعبّر بها كل قوم عن اغراضهم وقد تعدّدت انواع الاصوات وطرق التعبير بتعدّد الامم واختلاف ظروفها فنشأ عن ذلك لغاتٌ تفوق الآلاف عدًّا متفاوتةً بيانًا ومتباينةً دلالةً ولفظًا فان من الاصوات ما هو عاديٌّ عند هذه الامة وشاقٌّ التلفظ به عند تلك وهذا امر يلاحظهُ كلٌّ منا فيمن حاول دراسة اللغة العربية من ابناء المغرب فقد قلّ بينهم من استطاع بعد العناء الشديد لفظ الحاء او العين او الغين او الضاد او ما شاكل وكثير ما يعاني احدنا في لفظ Γ او X اليونانيتين او G او V او P الرومانيةّ ومن القبائل القاطنة اواسط افريقيا من لا وجود للمقاطع الشفوية « ف ب م و . . . » في لغتهم وبعض هنود كولومبيا محالٌ عليهم التلفُّظ بهذه المقاطع « ب ف ج د ب و » واكثر اهالي اوستراليا لا يستعملون المقاطع الصفيرية « س ز ش ث ص ظ » والنيوزيلانديون في غنى عن جميع هذه الحروف « ب س د ف ح ج ل ق ص و ي » واللغة المصرية القديمة « الهيروغليفية » خاليةٌ من هذه المقاطع « ب ج د ز ظ ض » وجملة القول ان هذه الاختلافات انما هي آثار تشير الى ما هي عليهِ اللغة من التعرّض للظروف الخارجية التي طالما غيّرت ولم تزل تغيّر في سائر احوالها وهذا التباين اللفظي يشاهد بين افراد الامة الواحدة المتكلمين بلغة واحدة لعلّة طبيعية في اعضاء النطق

فيظهر مما تقدم ان من الاحرف وهي « ت م ن ه » ما يسهل لفظهُ على كل ناطق بدليل وجودها في جميع اللغات على اختلاف انواعها على

ان النظر في طريقة التلفظ بها يبيّن كونها طبيعية فان الهاء لاتكلُّف في لفظها مطلقًا لانها تحدث بواسطة الزفير الاعتيادي والفم مفتوح . والتاء بايقاف الزفير بالصاق اللسان بما وراء القواطع اما الميم فباخراج الصوت من الانف والفم مجوف والشفتان مطبقتان والنون تلفظ كالميم بالصاق اللسان بسقف الحلق وفتح الفم

اما التفاوت الحاصل في دلالة وبيان هذه الاصوات ومركباتها فقد نشأ عنهُ تكاثر اللغات وتعدّد اللهجات فحسبوا منها الآفًا ولم ينتهوا الى جميعها غير ان فيلولوجيّ هذا العصر قد قسموها باعتبار درجات تهذيبها الى ☼ مرتقية ☼ و ☼ غير مرتقية ☼ وهذه الاخيرة تتضمن ادنى اللغات بيانًا وابسطها الفاظًا منها اللغات الزنجية وهي التي يتفاهم بها قاطنو جنوبي افريقيا والاميركانية اعني التي يتكلم بها هنود اميركا والشمالية الشرقية الاسيوية وهي لغات القاطنين في جزيرة سغالين وشبه جزيرة كَمْشَتكا وما جاورها . والصينية وهي لغات الصين ومن اهمّ صفاتها كون الفاظها احادية المقطع لا فرق فيها بين الاسم والفعل والحرف فاللفظة الواحدة تكون تارة فعلاً وتارةً اسما واخرى نعتًا باضافة الفاظ اخرى ذات معانٍ مستقلة اليها . والحاميّة وهي تتضمن المصرية القديمة والحبشيّة القديمة والبربرية وقد عدّ بعض اللغويين المصرية من اللغات الشرقية لكونها تقرب منها في بعض احوالها وقال اخرون لابل هي امّها وقد دُعيت بالحاميّة زعمًا بان المتكلمين بها هم من نسل حام بن نوح

اما المرتقية وهي تمتاز بسعة نطاقها واشتمالها على أكثر ما يلزم من انواع التعبير فتشتمل على لغات العالم المتمدّن وتُقسم تبعًا لقابليتها للتصريف والاشتقاق الى ☼ متصرّفة ☼ و ☼ غير متصرّفة ☼ وهذه الاخيرة تشتمل على اللغات الطورانية منها الفروعُ التركية ويتفاهم بها القاطنون بين

اخر حدود اوستريا الشرقية واسيا الصغرى فالتتر الى ما وراء اواسط اسيا وشمالاً الى الحدود الشمالية لسيبريا ومنهـا ايضاً اللغات المنغولية والتنفاسية والاوغرانية

ومن اهمّ صفات اللغات المرتقية «الغير متصرّفة» كونها مؤلفة من اصول جامدة لا تقبل التغيير في بنائها مطلقًا وان الاشتقاق يقوم فيها بالحاق ادوات لا معنى لها في نفسها في اخر تلك الاصول التي يجب حفظها بدون ادنى تغيير مثال ذلك لنا في التركية « ياز» وهو الاصلُ الدالّ على معنى الكتابة فيصيغون منهُ فعلاً ماضيًا بالحاق «دي» في اخرهِ فيقولون « يازْدي» كتَبَ ثم اذا قصدوا الماضي السابق يضيفون «دِي» اخرى فيقولون « يازْدِيدِي» اي كان قد كتب واذا ارادوا الجمع اضافوا أداة « لرْ» فقالوا « يازْدِيديلرْ» كانوا قد كتبوا ثم اذا ارادوا النفيَ ادخلوا أداة بين الاصل وما اضيف اليهِ فقالوا « يازْمدِيدِيلرْ» اي ما كانوا قد كتبوا وهكذا بين طلبٍ وتمنٍّ واستفهامٍ بحيث تبلغ هذه الالحاقات العشرة عدًّا مع بقاء الاصل الفعلي على بنائهِ في اول اللفظ

واللغات المتصرفة وتمتاز بقبول اصولها التصريف الحاقًا وادراجًا . تقسم الى طائفتين عظيمتين

(١) الطائفة الآرية او الاريانية او الهندية الاوروبية وتدعى ايضاً «اليافثية» نسبة الى يافث بن نوح وتقسم الى «جنوبية» وهي لغات جنوبي اسيا منها السنسكريتية وفروعها الهندية .والفارسيّة والافغانية والكردية والبخارية والارمنية والاوستية و«شمالية» التي منها لغات اوروبا وتقسم الى كلتيّة ومنها اللغات المستعملة في جزائر بريطانيا الاَّ انكلترا . وايطالية ومنها اللاتينية وفروعها لغات فرنسا وايطاليا واسبانيا والبورتغال . وهيلينيّة ومنها اليونانيّ القديم والحديث . ووِنْدِيّة ومنها لغات روسيا وبلغاريا وبوهيميا .

وتيوتونية وتتضمن لغات انكلترا وجرمانيا وهولندا والدنمارك وأيسلاندا

ومن الصفات المميزة للطائفة الآرية كونها مؤلفة من اصول قابلة التصريف ادراجاً وان الاشتقاق فيها يقوم باضافة ادوات معظمها ذات معنى في نفسها وهذه الادوات يلحق معظمها في اخر الاصل وبعضها في اوله مثال ذلك في الانكليزية « thank » شكرٌ منها « thankful» متشكر او شكور او كثير الشكر ثم «unthankful» غير متشكر او غير شاكر ثم «unthankfulness» عدم تشكر او عدم شكر ومثلها « capable » كافٍ او قادر و « incapable » غير كافٍ او غير قادر و «incapability » عدم كفاءة وهكذا في سائر التصاريف وعليه تجري سائر اللغات الآرية

(٢) الطائفة السامية نسبةً الى سام بن نوح واشارةً الى كون القسم الاعظم من المتكلمين بها هم من نسله وتتضمن ما هو معروفٌ باللغات الشرقية وهي بوجود اللغة العربية بينها تُعدّ من ارقى اللغات بيانًا واوسعها نطاقًا واغناها الفاظًا وادقها تعبيرًا وتمتاز بكونها الحافظة لاقدم التواريخ اعني التوراة مكتوبةً بالعبرانية . ومن المعلوم ان التمدّن نشأ اولاً بين المتكلمين بها كالبابليين والاشوريين والفينيقيين وغيرهم وهي تقسم الى ثلاثة اقسام * الاول * الآرامية وفرعاها السريانية والكلدانية . فالارامية هي لغة بابل القديمة الباقية آثارها مكتوبة نقشًا على بقايا بابل واشور بالاحرف الاسفينية والإنبارية . والكلدانية هي هذه بعد أن لعبت بها ايدي الزمن فغيرت بعض الفاظها وقد كتب بها بعض اسفار العهد القديم كسفر دانيال وغيره وقد دُعيت هناك بالارامية تساهلاً على ما ارى لان بينها وبين الارامية الاصلية فرقًا واضحًا لفظًا ومعنىً ولغة اشور ابعد عن هذه من لغة بابل . اما ما يُدعى بين السريانيين في هذه الايام باللغة الكلدانية

ليس الا السريانية نفسها مع بعض التغيير في الحركات . والسريانية هي الكلدانية المشار اليها مع تغيير في الفاظها ودلالتها تبعًا لما اقتضته الظروف فكأنَّ اللغة البابلية القديمة دُعيت في اول امرها آرامية ثم تغيرت قليلاً فدُعيت كلدانية ثم وقع فيها تغيير اخر فدُعيت سريانية وحصل في هذه بعض التنوع في حركاتها فحسبت لغتين سريانة غربية وسريانية شرقية

وقد حفظت اللغة الارامية الاصلية بعض التواريخ المعتبرة منقوشةً على بقايا بابل واشور . والسريانية حفظت الكتاب المقدس الذي تُرجم اليها في الجيل الثاني بعد المسيح

﴿ الثاني ﴾ العبرانية . قد امتازت هذه بحفظها التاريخ القديم كما سبقت الاشارة وبكون الناطقين بها هم اوضح الامم منشأً والللغة التي يتكلم بها الاسرائيليون اليوم ليست العبرانية صرفًا بل قد خالطها بعض الالفاظ الارامية او الكلدانية اثناء استئسارهم عند البابليين . ومحورُ جميع ما أُلّف في هذه اللغة انما هو العهد القديم ويتفرّع عنها الفينيقية والقرطجنية وكلتاهما مائتتان

﴿ الثالث ﴾ العربية وهي اسمى اللغات السامية ومعرفتها ضرورية لاتقان اخواتها . وقد كانت محصورةً في شبه جزيرة العرب حتى الإسلام ومن ثم اخذت في الانتشار الى ان ملأت الخافقين بسبب الافتتاح الاسلامي المشهور فكانت يومًا ممتدة من الشرق الى الغرب بين اواسط الهند و بوغاز جبل طارق ومن الشمال الى الجنوب بين البحر الاسود وبحر العرب و بالجملة يقال انها عمّت جميع العالم المتمدّن في ذلك الحين . والحروف العربية المستعملة عند الاعاجم منهم هي من جملة الاثار الدامغة ويتفرع من العربية لغة بلاد الحبشة الحالية وفروعٌ اخرى تُعدّ مائتة ولا يخفى ان لغتنا لولا القرآن العزيز لتعددت فروعها قياسًا على ما سواها

اما اصل كلمة " عرب " ففيهِ اقوالٌ منها انها " عبر " بعد القلب وقال

اخرون بل هي ماخوذة من "عرَبَ" اي فصح اعتماداً على ان العربية من افصح اللغات وزعاً من سلفائنا بان الذين لا يتكلمون بها عجمٌ . وقد ذهب بعضهم الى انها ماخوذة من لفظة "يَعْرب" التي هي اسم لاوّل من نطق بالعربية على ما يزعمون . ومن رأي استاذنا الخطير العلامة الدكتور فانديك من هذا القبيل إنهُ

« بينما كان الساميون ساكنين في الاراضي السهلة المخصبة حول راس »
» خليج العجم وفي ما سُمّي بعد حين العراق العربي اتاهم قوم كوشيون عن »
» طريق مهرا وحضرموت والحصا فطرد الكوشيون الساميين فنزح بعضهم نحو »
» عيلام اي بلاد فارس وقوم صعدوا شمالاً على شطوط الفرات وهم التارحيون »
» اسلاف ابرهيم وقوم ذهبوا غرباً نحو ما سُمّي بعد حين جزيرة العرب »
» وسموا عرباً من ערב « عِرِب » اي ارض الظلام او الغروب والعبرانيون »
» لا يميزون بالصورة بين العين والغين ومن هذه اللفظة ايضاً اوروپا ערובה »
» عروبا اوروپا انظر مصنفات راولنسن وماكس مولر وقاموس فورست »
» ومنهم من قال بل التسمية من "عرب" في العبرانية خلط ومزج لكونهم »
» شعباً مخلوطاً ممزوجاً من نسل قحطان واسمعيل ومديان وموآب وعمون »
» وعملاق وربما اختلطوا بالكوشيين في الجنوب والله اعلم »

وأوضحُ صفات اللغات السامية كونها مؤلّفةً من اصولٍ ثلاثية الاحرف ثابتة في الاشتقاق اي انهُ لا يفعل على احرفها بل هو يقوم فيها بتغيير الحركات التي يتوقّف عليها نوع الدلالة مثالهُ في العربية « قتل » وهو اصل يتضمن معنى القتل فبتغيير الحركات فيهِ يحصل مشتقات عدّة افعال او اسماء او نعوت تبعاً لنوع ذلك التغيير فمنهُ « قَتَلَ » فعلٌ ماضٍ معلوم و « قُتِلَ » فعلٌ ماضٍ مجهول و « قَتْلٌ » مصدر و « قِتْلٌ » بمعنى العدوّ والمقاتل و « قُتُلٌ » جمع قتول وكذلك « قُتْلٌ » وقد تُعَدّ احدى هذه الحركات

فيقال «قاتِلٌ» و« قاتَلَ » و «قتيلٌ» و« قَتُولٌ » و« قِتالٌ » و« قتّالٌ » و« قتلى » الخ اما قابليتها للاشتقاق على طريق الالحاق فتشارك الطائفة الآرية فيها لكنها تمتاز بحصول معظم الاشتقاق بواسطة تغيير الحركات وبانها لا تقبل الادوات الملحقة اذا كانت ذات معنىً في نفسها

ما هي اللغة العربية حقيقةً

قد تقدّم انها احدى اللغات السامية واسماها وهي لم تُجمع وتُدوّن الا بعد الاسلام اما قبل ذلك الحين فكانت متفرّقة في اماكن مختلفة من البادية وقد تكلّم بها عرب البادية وراء إبلهم ازمنةً لا يُعرف مقدارها بحيث كانت قبل ان بوشر في جمعها لغات عدة مختلف بعضها عن بعض اختلافاً ربما ضارع ما هو الواقع بين لغات سوريا ومصر وبلاد الغرب في هذه الايام لا بل اعظم كثيرًا فلم يُدوِّن جامعوها كلما كان يتلفظ به القوم بل اختاروا منه ما كان اعمّ استعمالاً واكثر وروداً فحصل ما ندعوه باللغة الفصحى اما لغة عامتنا فهي هذه بعد ان فعلت عليها العوامل التي كانت تفعل على تلك قبل جمعها ولم تزل ولن تزال الى ما شاء الله اعني لو جُمعت لغة عامتنا الآن وحُفظت في بطون الاوراق لوجد الذين سيخلفوننا انها تختلف عن لغة عامتهم اختلافًا كثر او قلّ تبعًا للمدّة ومقدارها وظروف المتكلمين بها بَيْدَ أنّ ذلك لا يحطّ من منزلتها بين ما سواها فهي «ولا بأس من التكرار» ارقى اللغات منارًا واكثرها الفاظًا وادقها تعبيرًا ويعترف بذلك كل من كان له المامٌ فيها مدافعًا كان او مناظرًا لكنها مع ذلك لم تنل حقها من

البحث بحثًا لغويًا يبيّن اصل الفاظها ودلالتها وكأني بهم لما راوا ما هنالك من رقةِ البيان وسحر المعاني وطلاوة البديع هاموا وقد أُخذوا سحرًا فلهوا بهذه عن النظر في اصولِ الالفاظ المنبعثة عنها كل تلك المحاسن وصرفوا معظم اوقاتهم بالجدال في ما لاطائل تحتهُ من المذاهب النحوية والصرفية على انهم لو وجهوا عنايتهم الى علم اللغة لاكتفوا بهِ هاديًا الى سواء السبيل

كم هي العلوم اللغوية

اما اللغات عمومًا فعلومُها درجاتٌ متتاليات

(الاوّل) يبحث عن الفاظِ لغةٍ ما من حيث بنائها ومشتقاتها وتركيبها وإِعرابها ووُجه استعمالها حقيقةً او مجازًا المقاصد في التعبير . وهذا ما تعلّمهُ المدارس في ايامنا كالصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع مما هو ضروريٌ لكلّ كاتبٍ

(الثاني) يبحث عن تاريخ وتنوُّع تلك الالفاظ ودلالتها مع ما طرأَ عليها من التغيير بتجريد بسيطها وحلّ مركّبها وهذا ما ربما صحّت تسميتهُ «علم اللغة او فلسفتها» وبموجبهِ تُردّ الفاظ كل لغة الى اصول او موضوعات محصورة عدًّا بسيطة بناء

(الثالث) مقابلة هذه الاصول من لغات مختلفة وردّها الى

اصول قليلة مشتركة وهذا ما يدعى بعلم «مقابلة اللغات» وقد تمكّن علماؤها بواسطتهِ من تقسيمها الى صفوف ورتب وعائلات الخ وهم ينتظرون الظفر بردّ جميع ما ينطق بهِ البشر الى اصول قليلة

(الرابع) وهو اسماها يبحث عن كيفية توصل الانسان الى هذه الاصول وكيف نطق بها اولاً

تمهيد

اللغة مؤلفة من الالفاظ والالفاظ تقسم باعتبار الدلالة الى ذات دلالة مطلقة وندعوها تساهلاً «الفاظاً مطلقة» وهي التي تصح الدلالة بواحدة منها على اي موجودٍ كان حسيًا او معنويًا وتشتمل على الضمائر واسماء الاشارة واسم الموصول وما شاكل والى ذات دلالة مانعة وندعوها تساهلاً «الفاظاً مانعة» اي لا يمكن الدلالة باحداها الا على قسم من الموجودات او على نوعٍ واحدٍ من المعنى فبقولنا «حيوان» مثلاً نقصد بعض الموجودات وهكذا لو قلنا «مادّة» او «قوّة» اذ يخرج في الاولى جميع ظواهر القوّة كالانفعالات والعقليات وفي الثانية تخرج المادّة وظواهرها. لكن بقولنا «هذا» ربما نقصد الحيوان او المادّة او القوّة او المحبّة او الحزن او النظر او ما شاكل ونقول «أنتَ» لكلّ ما تخاطبهُ جماداً كان او حيًّا حسيًّا او معنويًا وهكذا في البواقي والالفاظ المانعة تقسم الى «دالّة على معنى في نفسها» وتحصر في الفعل والاسم ومشتقاتها و«دالّة على معنى في غيرها» وهي الحروف وما شابهها

موضوع هذه الرسالة

سأقتصر في هذه العجالة على بعض الملاحظات التي ترآت لي اثناء مطالعتي بعض العلوم اللغوية وهي تتعلق بالدرجة الثانية من العلوم اللغوية اي « فلسفة اللغة » في العربية وربما ادخلت بعض ما يتعلق بالدرجات الاخر زيادة للايضاح وتعزيزًا للبرهان

وهذه الرسالة تقوم بخمس قضايا ونتيجة وهي

(١) ان الالفاظ المتقاربة لفظاً ومعنىً هي تنوعات لفظٍ واحـد

(٢) ان الالفاظ المانعة الدالة على معنى في غيرها انما هي بقايا الفاظ ذات معنى في نفسها

(٣) ان الالفاظ المانعة الدالة على معنى في نفسها يرد معظمها بالاستقراء الى اصول ثنائية تحاكي اصواتًا طبيعية

(٤) ان جميع الالفاظ المطلقة قابلة الرد بالاستقراء الى لفظٍ واحد او بضعة الفاظ

(٥) ان ما يستعمل للدلالة المعنوية من الالفاظ وضع اصلاً للدلالة الحسية ثم حمل على المجاز لِتشابهٍ في الصور الذهنية

(النتيجة) ان لغتنا موءلفة اصلاً من اصول محصورة عدًا احادية المقطع معظمها ماخوذٌ عن محاكاة الاصوات الخارجية وبعضها عن الاصوات الطبيعية التي ينطق بها الانسان غريزيًا

فمن الواجب اولاً إثبات القضايا المتقدمة الذكر وهي مقدّمات خمس لعلنا نستطيع اثبات ما دعوناه نتيجة و بالله التوفيق

القضية الاولى

«ان الالفاظ المتقاربة لفظًا ومعنىً هي تنوعات لفظٍ واحد»

كثيرًا ما اشار ايمّة اللغة الافاضل الى هذا النوع من الالفاظ وقد ارتأَوا فيهِ مذاهب شتى لا حاجة لسردها في هذا المقام اما الاستقراء والمقابلة فقد أثبتا ان هذا التقارب لم يكن عبثًا بل هو دلالة قوية على ان هذه الالفاظ ليست الا تنوعات اصل واحد وان هذه التنوعات قد حصلت بموجب ناموسين عظيمي الاعتبار هما القلب والإبدال

* فالقلب * عبارة عن تقديم او تأخير احد حروف اللفظ الواحد مع حفظ معناه او تغيرهِ تغيرًا طفيفًا وهو اقلّ ورودًا من الابدال ومن امثلتهِ قولهم بمعنى واحد . لَطَمَ ولَمَطَ . وذَبَحَ وبذَحَ . وبعزقَ وزَعبقَ . والبهلق والبلهق «المرأة الحمراء جدًّا» . وجذَبَ وجبذَ . ورفأَ ورأفَ . وتبرعصَ وتبعرصَ .

بمعنى اضطرب . وعفلطَ وعلفطَ « خلطَ » . وملجَ ولجمَ . وبرشق اللحمَ وشبرقهُ وشربقهُ بمعنى قطعهُ . وسكبَ وسبكَ . ويقال بشفت الارض وبغشت اي امطرت قليلاً . وقفاهُ يقفوهُ بمعنى قفاهُ يقفوهُ . وضبَّ وبضَّ بمعنى سالَ وكذلك صبَّ وبصَّ . وبضعَ وعضبَ وبعضَ جميعها بمعنى قَطَعَ . ويقال بِضْع او بعض ايام والفرق بالمقدار فقط . والقَبط والقطب الجمع باليد . وقطَّبَ الوجهَ وقبَّطهُ بمعنى واحد . وبكعَ وكبعَ بمعنى قطعَ . ويقال نضبَ الماء ونبضَ غارَ . ولعسَ ولسعَ تدلأن على نوع واحد من المعنى وهكذا فيما بقي . هذا ولا يخفى ان كثيراً من الالفاظ المقلوبة تخسر معناها الاصليّ بالاستعمال فلا يعود يمكنّا الجزم بانها مقلوبة

اما سبب القلب فهو في الغالب الميل لتخفيف اللفظ او التفنن فيهِ ويحدث في الغالب اعتباطاً عن غير قصد . ومثل ذلك كثير الحدوث بين عامتنا فان معظمهم يقولون رعبون في عربون . وإجر في (رِجل) . وبعض ابناء اللغة يقولون أطى بدلاً من اعطى . والسوريون ولا سيما البيروتيون يقولون «إجا » في « جاء » وكثيرون منهم لا يميزون بين « قعدَ » بمعنى جلس و « عقدَ » بمعنى ربط فيخلطون بينهما وقد قلّ بينهم من يلفظ كلمة « زَوْج » على حقها فان معظمهم يقول فيها « جوز » وهم يقولون « زقفَ » بمعنى « صفق » فوقع في هذه اللفظة القلب والابدال معاً كما ترى

اما * الابدال * في الفاظ اللغة فاعظم اهميةً لانهُ اوسع دائرةً واشدُّ تاثيراً . وهو عبارة عن ابدال حرف او اكثر من كلمة ما بحرف او اكثر يقرب منهُ لفظاً ويحصل الابدال غالباً بين الحروف التي هي من مخرج واحد او مخارج متقاربة

وتقسم الحروف باعتبار مخارجها الى حلقية ولسانية حلقية ولسانية سنانية وسنانية "او صفيرية" وشفوية والابدال يحصل بين احرف كل مخرج وبين مخارج

مختلفة الاقرب فالاقرب وهاك ترتيب الحروف باعتبار قابليتها للابدال
ع ء ه ي ح خ غ ق ك . ل ر ن . ض ط د ت . ج ش ث س ص ز
ظ ذ . ف ب و م

وقد يقع الابدال بين الاحرف المتقاربة في حكاية اصواتها ولو كانت من مخارج متباينة كالتبادل الحاصل كثيرًا بين الميم والنون لان السامع قد يخلط بينهما والعامة قد أبدلت ميم الجمع نونًا وهذه أُبدلت ميمًا في اماكن كثيرة ومن هذا النوع التقارب الحاصل في حكاية اصوات الفاء والخاء والثاء كقولهم ثلغَ وفلغَ بمعنى شقّ وصوتي الكاف والتاء كقول بعض العامة "تان" في "كان"

اما الادلة على قابلية الحروف للإبدال فكثيرة منها ما قد طرأ على اللغات الشرقية بعد تفرّقها لانهُ من المقرّر انها اي العربية والعبرانية والسريانية كانت يومًا لغة واحدة تتكلم بها امة واحدة تحت لواء واحد وانها بعد ان قُدّر للناطقين بها بالفراق اخذت تتنوّع تبعًا لمقتضيات احوال كل فريق منهم فوصلت الينا على ما نشاهدها لكن هذا الاختلاف الذي جرى على ناموس الابدال يكاد يكون قياسيًّا بدليل ثبوت النسبة بين الاحرف المتبادلة لان ما كان من الالفاظ من أصل واحد فيها جميعها نرى انهُ اذا كان احد مقاطع اللفظة العربية «ثاء» مثلاً يكون في مكانها في العبرانية شين وبالسريانية تاء نحو «وَثبَ» العربية فانها في العبرانية ישב «يشب» وفي السريانية ܝܬܒ «يتب». و«ثدي» في العربية فانها שדא «شدا» في العبرانية و ܬܕܐ «تدا» في السريانية . واذا كان ذالاً في العربية كان زايًا في العبرانية ودالاً في السريانية كذَكرَ و זכר "زَكر" و ܕܟܪ "دْكرَ" والالف في العربية والسريانية هي هاء في العبرانية مطلقًا نحو «ما» الموصولة

في الاولين فهي מה «مه» في الاخيرة والسين العربية هي شين في اختيها نحو «سأل» فانها فيهما שאל «شال» والغين العربية عين في اختيها فالعرب يقولون «غرب» والعبرانيون والسريانيون يقولون ܥܪܒ «عرَب» بالعين. والخاء العربية حاء فيهما فنحن نقول «خرِب» وهم يقولون ܚܪܒ «حرب» وامثال هذا التبادل كثيرة عادية وفي الغالب قياسية كما رأيت بحيث يكاد المتكلم باحداها يفهم الفاظ الاخرى فهمًا تامًا ولا يكون على شيء من امرها بشرط اطلاعهِ على ناموس هذا التغيير. وفي العبرانية والسريانية ستة احرف يستعمل كلٌّ منها لمقطعين من مخرج واحد وهي هذه «ܒ ב ܓ ג ܕ ד ܟ כ ܦ פ ܬ ת» فالاول يلفظ كالباء العربية او الفاء الفارسية V والثاني اما جيمًا افرنجية قاسية كما في ga او غينًا عربية والثالث اما دالاً عربية او ذالاً والرابع اما كافًا او خاء والخامس اما فاء عربية او باء فارسية «پ» والسادس اما تاء او ثاء ويشاهد الابدال في اللغة الواحدة من هذه باختلاف ادوارها وازمنتها من ذلك في العبرانية זעק «زعق» و סחק «سحق» كانتا تلفظان في اول ادوارها צעק «صعق» و צחק «صحق» ومن قواعد اللفظ في اللغة الاشورية ان الاحرف السنانية (س ص....) متى وقعت قبل احد الاحرف اللسانية السنانية (ت د ط...) تقلب لامًا. وان اللسانية السنانية متى وقعت قبل (س) تقلب سينًا او صادًا ولا فرق في هذه اللغة بين الميم والواو لفظًا وحرف واحد يدلّ على كليهما

ومن الادلة على وقوع الابدال ايضًا ما نشاهدهُ في العربية من الالفاظ المتقاربة لفظًا ومعنى وهي كثيرة نقتصر على ذكر بعضها ليقاس عليها منها قولهم بَتَكَ وبَشَكَ بمعنى قطعَ ولنا تمّاً ونشأ بمعنى واحد وبَرتَكَ وبرشَكَ بمعنى بَتَكَ ويقال ابشعرّت الخيل وابثأرّت وابذعرّت اي ركضت تبادر شيئًا

تطلبهُ . والجبيس والضبيس بمعنى الجامد الثقيل الروح . وبذَّ وبزَّ نهب وبشَّ وبسَّ فرّق ويقال بلجَ الماء بمعنى برجَ . ونبحَ الكلب ونبجَ ويقولون بمعنى السير الشديد أمجَ وعمجَ . وهبجَ وهبشَ اي ضربَ وكذلك خبقَ وحبقَ والحبقر والعبقر بمعنى البرَد «حب الغمام» ولا يخفى ان الاولى هي الاصل لانها مركبة من حب وقرّ اي برد وكان يقصد بها "حب البرَد" ثم أُبدلت الحاء عينًا بالاستعمال فصارت " عبقر " . ولحسَ ولمسَ ولعسَ بمعنى واحد ومثلهُ كسر وقصر . وبرقَ وبلقَ بمعنى شقَّ . ونحزَ ونخزَ ووكزَ بمعنى واحد . ويقال خبَّ الرجل وغبَّ منعَ ما عندهُ وقد اتى بهذا المعنى ايضًا هفتَ وخفضَ وهبطَ وغمطَ وغمض . وضبعَ في المكان او قبعَ او قمعَ اقام ويقال غبنَ الثوب وخبنهُ وكبنهُ اذا عطفهُ وخاطهُ . وبخسَ عينهُ وبخزها . والبصط كالبسط في جميع معانيهِ . وبصعٌ من الليل بمعنى بضعٌ . ويقال بزقَ وبسقَ وبصقَ بمعنى واحد . وأفلطَ على لغة تميم كأفلتَ . وفلغَ رأسهُ او ثلغهُ بمعنى شدخهُ وهكذا أيّد وأكّد وقصمَ وقطمَ وقضمَ وقشمَ . وتسربلَ وتسغبلَ سواء في المعنى وكذلك الراية والغاية والبلاغة والبراعة وغنى وقنى وفي العربية من هذه الامثال ما يكاد لا يقع تحت الحصر

فقد ثبت مما تقدم ان الابدال واقع اما اسبابهُ فبسيطة هي في الغالب نتيجة علة طبيعية في اعضاء النطق في اول الامر ثم بالاستعمال تحفظ التنوعات وربما خصصوا كل تنوّع لفظي بتنوّع من المعنى الاصلي ويساعد على حفظ هذه اللغات افتقار اللغة للالفاظ اذ ذاك ولانها لم تكن محدودة مدوّنة . والابدال جارٍ في كل آنٍ وزمان فكم من الامم الذين لا يستطيعون لفظ الراء راء كما نلفظها نحن فيلفظونها قريبة جدًّا من الغين منهم القسم الاعظم من الفرنسويين والانكليز وجميع قاطني الموصل وجوارها ومن عامتنا من يلفظها لامًا وهم في الغالب من الاحداث وكثيرون يستحيل عليهم التلفظ بالثاء او

الظاء او الذال فيلفظونها تاء او سينًا وضادًا او طاء ودالاً او زايًا فعامة السوريين يقولون "كتير" بالثاء والمصريون يلفظونها "كسير" بالسين والاصل فيها "كثير" بالثاء فالثاء يلفظها السوريون تاء والمصريون سينًا في الغالب ففي ثلاثة وثمانية وثورة وثعبان يقول السوريون تلاتة وتمانية وتورة وتعبان والمصريون سلاسة وسمانية وسورة وسعبان وهكذا فيما بقي ويقول السوريون في "ظلّ" ضلّ بلفظ الظاء ضادًا وبالعكس في ضبطَ فانهم يقولون فيها "ظبطَ" وقد أبدلوا ميم الجمع نونًا فهم يقولون "لهنّ وعليهن" في لهم وعليهم و"بينهن" في بينهم كما سبقت الاشارة واهالي بيروت ودمشق لا يلفظون القاف الاهمزة مفخمة والمصريون أعرق في ذلك فيقولون "آل" في قال و"أميص" في قميص واغرب من ذلك استبدال بعض عامتنا الحاء بالتاء فيقولون "صفتَ" في صفحَ او الكاف همزة فيقولون "أآل" في اكل و"آسة" في كاسة وبعضهم بعكس الامر فيلفظ الهمزة كافًا كقولهم "سكلَ" في سأل. وطالما قيل لنا ان بعض سكان البادية يلفظون الكاف شينًا فيقولون "بيتش" في بيتك وهذا ما يدعى لغويًا بالكشكشة وبعضهم يقول "انطى" في اعطى اي بابدال العين نونًا والبعض لا يستطيعون لفظ الكاف الا تاء فيقولون "تان" في كان وهكذا في كثير مما لا يسعنا المقام استيفاءهُ

فما المانع من حصول مثل هذه التنوعات في اللغة قبل ان دوّنت اذ تكون اقدر على حفظها لما سبقت الاشارة اليه وانهُ نظرًا لكثرة استعمالها اتخذها الجامعون الفاظًا اصلية لا سيما وهم في افتقار اليها لانهم كانوا قد خصصوا كلّ لفظٍ حادث بمعنى حادث وان تكن جميع هذه التنوعات قابلة الرد بالاستقراء الى اصلٍ واحد لفظًا ومعنى اما بعد ان دُوّنت اللغة وكثرت فيها التآليف ووضعت لها الروابط فقد قلت قابليتها لحفظ هذه التنوعات مدوّنةً فتبقى محصورة بين العامة

القضية الثانية

ان الالفاظ المانعة الدالة على معنى في غيرها انما هي بقايا الفاظ ذات معنى في نفسها (١)

والدليل على ذلك اننا اذا استقرينا حالة هذه الالفاظ في لغات كثيرة متفاوتة تهذيبًا نرى انها تقرب من الدالة على معنى في نفسها بقدر ما تبتعد عن الارتقاء والتهذيب حتى نصل اخيرًا الى ادنى اللغات فنراها خالية من الادوات والحروف على الاطلاق ولكنها تستخدم بعض الافعال والاسماء لقضاء وظيفتها . وايضاحًا لهذه القضية اذكر بعض الامثلة متدرجًا من اللغات الدنيا الى اللغات الاجنبية المهذبة ثم اللغات الشرقية عمومًا واخيرًا العربية خصوصًا

ان الصينيين كما سبقت الاشارة في غنىً عن هذه الادوات فيستعيضون عنها بالافعال والاسماء فيعبّرون عن حرف الجر "في" بقولهم "وسط" فيقولون مثلاً "كُوشُنغ" ومفادها حرفيا "مملكة وسط" ويقصدون بها ما هو في لغتنا "في المملكة". ولهم في الباء السببية طريقة غريبة فهم يقولون "شَاجِنْ إِي تِنغ" مفادها حرفيًا "قَتَلَ رجل استعمل عصا" ويقصدون بها "قتلَ الرجلَ بالعصا". ومن قاطني اواسط افريقيا قبائل تُعرف بقبائل

---

١ يشمل هذا النوع من الالفاظ على الحروف وما يشبهها واحرف الزيادة الداخلة على الافعال والاسماء في الاشتقاق

" مندنجو " اذا ارادوا تأدية معنى " على " قالوا " كُنغ " اي عنق او " في " قالوا " كُونُو " اي بطن فيقولون لما هو في لغتنا " ضع الكتاب على الطاولة "، مثلاً " ضع الكتاب طاولة عنق " وهكذا في " في ". وادوات الجمع والتأنيث والتذكير والصفة وما شاكل في اللغات الصينية هي في الغالب افعال او اسماء ذات معانٍ مستقلة .

ومن لغات بعض جزائر المحيط ما لا ادوات فيها لتمييز الجنس او الحال او العدد او الزمن او الشخص او ما شاكل والمشهور من هذا النوع البولينية والقياس يقتضي ان لا يمر على هذه اللغات مدة من الزمن حتى لا يعود ممكناً تمييز اصل هذه الكلمات فيحسبونها كذا انزلت كما هو ظن البعض في لغتنا

وكان المصريون القدماء يعبرون عن "مِن" في قولنا "ساعة من ذهب" بلفظة « نسوْ » ومعناها الاصلي « لسان » ولا ندري اي العلاقة بين هذين المعنيين حتى استعملت لها لفظة واحدة ولعلهم تصوروا في اللسان صفة الخروج فاستعملوه بمعنى « خرَج من » اي « تكوّن من » وهو المقصود بقولنا « ساعة من ذهب » . وعندهم « خِم » ومعناها حرفيًا « غير عارف » ويستعملونها بمعنى « بدون »

والباحث في الطائفة الآرية يرى امثالاً لا نحصي جميعها تشهد بصدق قولنا وصحة قضيتنا . ويساعد على ذلك سهولة استقراء ادواتها لتوفر المواد اللازمة لذلك وهي اللغات القديمة امهاتها منها اللاتينية والجرمانية القديمة واليونانية والسنسكريتية . واكاد لا احتاج لذكر شيء من هذا القبيل نظرًا لاشتهار امرها لكن لا بد لي من ايراد بعض الامثلة زيادة للايضاح

قلما يخطر للمتكلمين بالانكليزية ان :such: مثلاً ومفادها « كذا » مكونة من اصلين يقربان من :so-like: ولولا وجود اللغة الانجلوسكسونية أُمّ الانكليزية لتعذّر استقرائها . فهي في تلك اللغة ;swylc وفي اختها الجرمانية

:solch: وجميعها بمعنى واحد . وهكذا في ;which; منادها «ايّ» التي يمكن تتبعها على الطريقة عينها الى ما يماثل ;who-like; وهي في الانجلوسكسونية :hwylc: وهكذا الحال في :if: حرف شرط فانها تُرد الى :Gif; في الانجلوسكسونية و :Give: في الانكليزية اي 'اعطي' فكانهم يقصدون بقولهم "if you come" ما هو في الاصل "Give :that:you come" ولكثرة الاستعمال نحتت الى :if: واستغني عن :that: فبطل استعمالها فبقيت :if: حرفًا لا يعرف عنه الا كونه يستعمل للشرط . وهكذا لو بحثنا عن ;ly; الاداة التي تلحق اواخر الاسماء فتحوّلها الى نعوت والنعوت فتجعلها ظروفًا (نحو ;God; اله ;Godly; الهيّ و ;Generous; كريم ;Generously; كرمًا) فقد استطيع تتبعها الى ;lic; الانجلوسكسونية وهي في الانكليزية like اي «مثل» وفي الجرمانية ;lich; وفي السويدية ;lig; وفي الدنش ;lijk; وجميعها بمعنى واحد فعلوا ان ;Generously; كرمًا اصلها ;Generous-like; «مثل كريم» وهكذا فيما بقي

اما اللغات الشرقية فتتبّع الفاظها اصعب من المتقدم ذكرها نظرًا لقلة المواد اللازمة لذلك كما هو معلوم بيد اني لا آلو جهدًا في تقديم بعض الامثلة تقريبًا من المقصود

يستعمل العبرانيون עם «عِمْ» والسريانيون ܥܡ «عَمْ» لما هو في لغتنا «مَعْ» حرف عطف واللفظة عينها في العبرانية وما يقاربها في السريانية تستعمل بمعنى شعب والعم الشرعي فيستدل من كل ذلك ان الاصل فيها معنى الاجتماع والاتحاد فاستعملوها اسمًا واداة عطف كما رأيت . ولا يخفى ان «مَعْ» مقلوبة عن «عَمْ» . وعند العبرانيين מדוע «مَدُوَع» بمعنى لماذا مركبة في الاصل من מה «مَهْ» الموصولة و ידוע «يَدُوَع» علمَ .

وهم يعبّرون عن قولنا «حسب» بقولهم לפי «لِفي» مركبة من حرف الجرّ «ل» و פי «في» فم. وعندهم بالمعنى عينهِ כפי «كِفي» من كاف التشبيه و«في» المتقدم ذكرها وكانوا يستعملون نحو الجيل الثاني عشر قبل المسيح אשר ל... «أشر ا...» مركبة من אשר «أشِر» الذي ولام الاضافة بمعنى خاصّة او ملك وبعد ذلك باجيال اختصروا لفظها حتى صارت تلفظ وتكتب של «شل» بالمعنى عينهِ فلولم تحفظ لنا التوراة لغة ذلك الجيل لما تيسّر لنا تتبّع «شِل» الى «أشر ا...»

والسريانيون يستعملون ܡܟܝܠ «مِكيل» بمعنى إذن وهي تحل الى ܡܢ «من» حرف جرّ و ܟܝܠ «كيل» مفادها «قياس الزمن». ولديهم ܗܫܐ «هشا» بمعنى الآن مركبة من ܗܐ «ها» للتنبيه والاشارة و ܫܥܐ «شعَا» ساعة. و ܐܝܟܢܐ «أيكنَا» كيف. مركبة من «اي» الاستفهامية و ܟܢܐ «كنّا» وهذه اصلها ܟܗܢܐ «كَهنا» من كاف التشبيه و ܗܢܐ «هنَا» هذا وهذه تحل الى «ها» التنبيهية و ܢܐ «نا» الاشارية بمعنى «ذا» فكأن الاصل في «أيكنَا» «اي كهانا» وأغرب من ذلك انهم ركّبوا من «هشَا» المتقدم ذكرها و «عدْ» حتى و «ما» الموصولة ما مفادهُ «حتى الآن» لكنهم اختصروا في لفظها حتى صارت ܥܕܡܫ «عَدَمِشْ» على ان الاصل فيها «عَدْمَا هَا شعَا» فتأمّل

والاشوريون كانوا يستعملون كلمة «قلب» لما هو في لغتنا «وسط» وكثيرًا ما نسمع بعض العامة يقولون «في قلب البيت» ويقصدون في وسط البيت. ويستعمل المالطيون «تَعْ» للاضافة كما يستعمل الفرنساويون ;de والانكليز ;of وعند البحث عن اصلها نرى انها بقية «متَاع» التي لا تزال

تستعمل بين عامتنا بمعنى خاصة . والمصريون اكثر استعمالاً لها وقد تصرفوا في لفظها فقالوا فيها « بتاع »

قد رأيت فيما تقدم ان اللفظة الواحدة تحلّ الى لفظين فاكثر وان بتركّب لفظين فاكثر يحصل لفظة جديدة اقلّ احرفاً من مجموع احرفها وقد اشرت ان هذه الالفاظ تتحوّل الى لفظٍ واحد بالنحت وهاك بعض ما يتعلق به زيادة للايضاح فاقول

النحت ناموسٌ فاعل على الالفاظ وغاية ما يفعلهُ فيها انما هو الاختصار في نطقها تسهيلاً للفظها واقتصاداً في الوقت بقدر الامكان . وهذا الناموس لم تنجُ من فتكهِ لغة من لغات البشر ادناها واسماها بل قد جرى فيها على السواء من اول نشأتها ولم يزل حتى الان ولن يزال الى ما شاء الله . ولا يخفى انهُ مهما كان من عظيم امرهِ وكيف تنوّعت طرق عملهِ ليس للانسان في ذلك يدٌ اختيارية فالنحت جارٍ في الالفاظ اعتباطاً عن غير قصدٍ من الناطقين

وهو جارٍ في لغة عامتنا على كيفية ربما افادت الاشارة اليها اذ ان منها يظهر مقدار ما لهذا الناموس من عظيم التأثير في الفاظ اللغة وتعلم ان ليس عليهِ من مستعظمٍ فاقول

يستعملُ الدمشقيون لفظة (شْلَون) باماله الفتح نحو الضم بمعنى كيف للاستفهام . فلو فرضنا ان لغة عامتنا جُمعت في هذه الايام بغية حفظها لغةً كتابية وان احد علماء اللغة في الجيل القادم او ما بعدهُ قصد البحث في الفاظ اللغة بحثاً تحليليًّا . فوصل الى هذه اللفظة ماذا ترى يكون رأيهُ فيها . لا اظن الاَّ انهُ يُرجح كونها مركبة من اكثر من اصل واحد . وربما اهتدى بعد اجهاد الفكرة الى انها مركبة من (لَوْن) والشين ومن تحليل معناها يتبين لهُ ان هذه الشين تتضمَّن معنى الاستفهام اذ انهُ يقصد من استعمالها مع (لَوْن) الاستفهام عن الكيفية . لكنهُ عند ذلك لا يكون قد فعل شيئاً اذ لم يزل جاهلاً معنى هذه الشين الاصلي

فهذا اذا كان ممن يذهبون الى ان الالفاظ كذا انزلت لا يرى بدًّا من التسليم ان هذا الحرف انما أُنزل للاستفهام . لانه يراهُ قد ورد كثيرًا في لغات بيروت ولبنان كقولهم (شِسْمَك) بمعنى ما هو اسمك وماشاكل . وإن كان ممن يعتقدون الخلاف ويعلمون ان جميع الادوات الدالة على معنى في غيرها انما هي بقايا الفاظ ذات معنى في نفسها يأخذ في البحث عن الفاظٍ تتضمن هذا المعنى وهذا الحرف وربما عثر بعض العناء العظيم على لفظة (شو) التي يستعملها البيروتيون بمعنى ماذا فيحكم ان تلك الشين مخونة منها . وهناك تنقطع سلسلة بحثهِ فيقف متحيرًا آسفًا على ما خسرته اللغة من الالفاظ التي هي حلقات ضرورية لاستقراء اصل مثل هذه الكلمات فيتوقف عن البحث وهو على يقين ان ثمّ حلقات قُدّر فقدانها ولولا ذلك لتيسر له الاستقراء كما يشاء . اما نحن الآن نظرًا لبقاء تلك اللغة متداولة بيننا ولدينا منها لهجات عدّة يسهل علينا تتبع هذه اللفظة الى اصلها تمامًا فان اللبنانيين يعبّرون عن (شو) البيروتية بقولهم (أَيش) وبعضهم يلفظها (أَيشو) وبعض البيروتيين تصرفوا بها على طريقة غريبة فقالوا (شُونُوِه) والسودانيون يقولون (شُونُو) فمن المقابلة يتضح جليًّا ان الاصل فيها جميعها عبارة مؤلفة من ثلاثة الفاظ مستقلّ احدها عن الآخر لفظًا ومعنىً وهي (اي شيء هو) وهنا يعرض لدينا سؤال آخر وهو هل يمكننا استقراء احدى هذه الالفاظ الى اكثر من اصلٍ واحد والجواب اننا لحد معرفتنا الحاضرة يصعب علينا ذلك ويلوح لي ان بعضها قابل وسيأتي الكلام على ذلك في آخر هذا الفصل . والخلاصة أفلا يستغرب ذلك اللغوي اذا قيل له ان هذه الشين مخونة اصلاً من ثلاثة الفاظ مستقل احدها عن الآخر لفظًا ومعنىً

وهكذا لو سألنا عن (ليش) المستعملة بمعنى لماذا فاننا نراها مؤلفة من لام الاضافة و (أَيش) المتقدمة الذكر فكأن الاصل فيها (لاي شيء هو) والبيروتيون يقولون (بَدّي) بمعنى أُريد وهي مخونة من (بِودّي) وبعضهم

يقول (ماش) اي لا شيء وهي منحوتة من (ماشيء) . وهم يستعملون (شُو) للتنبيه بمنزلة (ما هو) والاصل فيها (إقشَعْهُ) ولِمَا كنا نعلم ذلك لولا ان بعض الذين يلفظونها يقرّبونها من الاصل نوعاً فيقولون (شَعْو) . والمصريون يعبّرون عن نفي الحال بقولهم (مُش) و بعضهم يلفظها (ماهوش) تقرباً من الاصل الذي هو (ما هو شيء) . واللبنانيون يعبرون عن قولنا الآن بقولهم (إسّا) ويلفظها بعضهم (هسّع) ويقول فيها السودانيون (حسّع) والاصل فيها (الساعة) اي هذه الساعة . ومن هذا النوع قولهم (إلسّا) واصلها (للساعة) والبيروتيون يقولون (هلاّ) بمعنى الآن وبعضهم يلفظها (هلّق) والدمشقيون يلفظونها (ها لقيت) بلفظ القاف همزة مفخمة واللبنانيون يلفظونها اقرب للاصل من الجميع فيقولون (ها الوقت) والاصل فيها هذا الوقت او (ها الوقت) . و يستفهم البيروتيون عن الكمية بقولهم (قدّيش) ولا يقصدون بها الاّ (كم) على ان الاصل فيها (قدر أي شيء) وهكذا الحال في (كان) المستعملة بمعنى ايضاً والاصل فيها (كما أن)

وهكذا لو تتبّعنا سائر الفاظ العامة . فتأمّل كيف يفعل النحت على الالفاظ فيمسخها مسخاً ولا يبرح من بالك انه يختلف في المعنى الواحد باختلاف الظروف كما شاهدت في شو وأيش وإيشو وغيرها . ولا اظنك ترتاب بانه كان يفعل مثل هذا الفعل على اللغة قبل ان يوشر في جمعها بازمان . وعليه فلا تعجب اذا ذهبنا الى ان الالفاظ الدالة على معنى في غيرها انما هي بقايا الفاظ ذات معانٍ في نفسها ولو تعسّر علينا استقراء جميعها

ها قد مررت مرّ المسرع على اللغات الاجنبية ولغة عامتنا فذكرت منها بعض الامثلة فهلمّ ننظر في العربية لعلها تُسعف فتعطنا ان نبين شيئاً من اصول هذه الادوات و بالله التوفيق

ان الحروف المنطوية تحت هذه القضية هي احرف الجر والعطف والمشبهة

با لفعل والمشبهة بليس وحروف الاستثناء والاستفهام والنواصب والجوازم والظروف المبنية واحرف الزيادة .

فمن هذه الحروف ما لا يزال ملوحاً فيهِ معناها الاصلي الذي كانت تدل عليهِ قبلما قُدِّر لها فقدانهُ والاشتغال فيها لغيرها منها قولنا (خلا) و(حاشا) الاستثنائيتين وكذا (عدا) فانها ماْخوذة من عدا يعدو اي تجاوز وهكذا الحال في (على) . وكثير من الافعال والظروف قلما يُنظر عند استعمالها حروفاً الى كونها افعالاً او اسماء ولو لم تكن الاصول المشتقة هي منها كثيرة التداول بيننا لما كنا نحسبها الاّ حروفاً او ظروفاً جامدة . مثال ذلك قولنا (داخل البيت) لا نقصد بهِ اعتيادياً الاّ (في البيت) وهكذا (خارج البيت) وقولنا (نحو البيت) لا نفهم بهِ غالباً الاّ (الى البيت) مع انها مشتقة من نحا ينحو اي قصد ومن مشتقاتها ناحية وقس عليها

ومنها ما لم يعد تتبعها سهلاً اذ قد خسرت بعض حروفها لكثرة الاستعمال وهذه اما احرف مفردة كالباء واللام والكاف والواو والفاء والتاء او غير مفردة وهي ما بقي منها

فالباء حرف من حروف الجرّ يستعمل لاقضاء معاني الافعال الى الاسماء وهي تاْتي لاربعة عشر معنى الالصاق والتعدية والاستعانة والسببية والمصاحبة والظرفية والبدلية والمقابلة والمجاورة والاستعلاء والتبعيض والقسم والغاية والتوكيد ومعلوم انهُ لا يمكن ان تكون جميع هذه المعاني اصلية فيها واظن ان لا سبيلَ لنا لمعرفة ما وضعت للدلالة عليهِ في الاصل الاّ مقابلتها بالباء المستعملة في اخوات العربية واذ ذاك نرى ان الباء لا تستعمل فيها في سائر تلك اللغات الاّ للظرفية فيرجح ان هذا هو الاصل في دلالتها عندنا . وما بقي من المعاني ليس الاّ تفنناً عربياً . فهل تساعدنا هذه النتيجة في تتبع اصلها . نعم . يعلّمنا الاستقراء ان هذه

الباء في بقية كلمة ذات معنى مستقل في ܒܝܬ (بيت) بدليل ان هذه الاخيرة مستعملة في السريانية بمعنى في او بين فيقولون ܒܝܬ ܩܒܘܪܐ (بيت قبورا) اي في او بين القبور ولنا ܒ (بِيْ) وهي حلقة موصلة بين (بيت) والباء وقد وردت في التلمود والترجوم بمعنى في البيت وهي في السريانية مجزوم (بيت) وتفيد الظرفية . فيكون لنا إذن سلسلة تامة الحلقات وهي (بيت) ثم (بِيْ) ثم (ب) . فيرجح ان الباء هي بقية (بيت) (ونظراً لورود " بي " الكلدانية بمعنى الظرفية لا مانع كون " في " العربية مقلوبة عنها)

واللام كالباء تستعمل لمعانٍ كثيرة ومن المقابلة يتضح ان الاصل في دلالتها الاضافة والقصد اي انها تتضمن معنى الى وهي تقوم مقامها في العبرانية والسريانية ومما يؤيد ذلك كون (إلى) قد فقدت من السريانية تماماً اما في العبرانية فتحولت الى (إل) بمعنى الى وقد وردت (الى) فيها مرات قليلة . فترى السلسلة قد تمت وهي (الي) ثم (إل) ثم (ل) فيرجح بل يؤكد ان هذه اللام بقية (الى) . ورب قائلٍ من اين اتت هذه بهذه الدلالة فاجيبه . يظهر من المقابلة ان الاصل في معنى (الى) الجهة والناحية كما هو الحال في (نحو) بدليل كون هذه اللفظة في العبرانية هي جمع ما مفاده جهة او ناحية وليس ذلك فقط فان في العربية (إلية) بمعنى جهة اوناحية والظاهر ان الاصل في (إلى) لفظ يقارب (إلية) او هي نفسها وكانهم كانوا يقصدون بقولهم (ذهب الى المدينة) ما يفيدهُ قولنا (ذهب نحو المدينة) والله اعلم

والكاف يظهر من المقابلة ان الاصل في مؤدّاها التشبيه بدليل كونها هكذا في بقية اللغات الشرقية . اما اصلها فيظهر انهُ فُقد من العربية وحُفظ في اخواتها . فهي في العبرانية بقية כֵּן (كِنْ) مفادها (كذا) وربما يقصدون بقولهم (زيدٌ كالاسد) زيدٌ كذا الاسد . و(كِنْ) هذه منحوتة من אכֵן (أَكِنْ)

في العبرانية بمعنى (حقيقة) وفي الكلدانية ܗܟܢ (هَكِن) او ܗܟܢܐ (هَكِي) وقد شق العبرانيون من (آكِنْ) ايضًا (آك) ظرفًا يفيد التأكيد . وشق السريانيون من (هكنْ) ܐܝܟ (أيك) تُلفظ (آخْ) بمعنى كاف التشبيه وربما كان في (كما) العربية ما يلمح فيهِ هذا المعنى

فبناء على ما تقدم يرجح ان كاف التشبيه هي بقية اصل يقابل (آكن) العبرانية فقد من العربية الأ انهُ لم يزل محفوظًا فيها مركبًا مع لا النافية اعني بهِ (لكن) قال بعض ائمة اللغة انها تفيد الاستدراك فكأَنَّ اصل مؤدَّاها (لا حقيقةَ) بنفي ما ذكر وتأكيد ما هو آتٍ والله اعلم . هذا ولا غرو اذا شوهد ثمَّ شيء من الاختلاف بين مؤدَّاها الاصلي وما هي عليهِ فان الاستعمال لا يزال يفعل عليها حتى الآن اذان العامة تستعملها بمعنى (إِذن) فيقولون (شو بعمل لَكَن) بمعنى (ماذا اعمل إِذَن) فسبحان الذي يُغيِّر ولا يتغيَّر

والواو تستعمل لما ينوف عن ٣٥ معنًى جميعها ترد للاستصحاب والاستئناف وعليهِ يرجح كونها مخوتة من اصلٍ حفظ في العبرانية وهو ١١ (وَوْ) فعل متعدٍّ مفاده وَصَلَ و (سمَّر) . ويرجح ايضًا ان الفاء مقلوبة عن هذه الواو بدليل كون هذه الاخيرة تؤدّي معنى كليها في العبرانية والسريانية فهم يقولون . (آمنْ ونجِي) لما هو في لغتنا آمِنْ فنجي . ولا يصعب تبادلها لانهما من مخرج واحد . او انها بقية (فاء) بمعنى عادَ

اما التاء ونقصد بها هنا تاء القسم فقد قال الزمخشري في تالله لاكيدنَّ اصنامكم الباء اصل احرف القسم والواو بدل منها والتاء بدل من الواو وفيها زيادة معنى التعجب كانهُ يتعجب من تسهيل الكيد على يدهِ اه

وما بقي من الادوات ما لا يلمح فيها معناها الاصلي فمؤلف كلٌ منها من اكثر من حرف واحد . ومن هذه ما هو مركب من اداتين فاكثر نحو (إِلاَّ) مركبة

من (إن لا) بالادغام و(ألمْ) من همزة الاستفهام و(لم) النافية وهكذا في حيثما وكأيّ وكذا وكيفما وأيّان وإذما ولولا وما شاكل

ومنها ما يظهر كونهُ بسيطاً لكنهُ قابل الحل الى اكثر من اصل واحد نحو (الان) فهذه تحل بسهولة الى (أل) التعريف و(آن) بمعنى الوقت وبجملتها تفيد (هذا الوقت) وهكذا الحال في (بين) فانها مركبة من باء الجر و(أين) ظرف مكان. و"لكن" قد تقدم كونها مركبة من لا النافية و"كنْ" بمعنى "كذا". و"ليت" تحل الى "لا" النافية و"إيت" الدالة على الكون المطلق في السريانية وقد أُبدلت في العربية "بأيس" كاسترى في محل اخر. "ومنذ" تحل الى "منْ" و"إذْ". ومثل ذلك في "عند" فانها مركبة من "عنْ يدْ" بدليل كونها هكذا في اخوات العربية حيث لا تزال تستعمل مكتوبة كلٌّ على حدة اي "عل يد" واللام والنون تتبادلان بسهولة كما لا يخفى فان العامة تقول في العام الاول "عَامَلَاوَّل" و"عَامنَاوَّل". وهكذا في "لدى" فانها على الارجح مقلوبة عن "لِيَدْ" لانها تتضمَّن معنى عند تقريبًا. و"كم" لا ريب في كونها مخروتة من "كاف" التشبيه و"ما" الموصولة لانها في اخوات العربية "كما" فكان الاصل في مودّاها الاستفهام عن الماهية اي انهُ كان يقصد بها ما مفاده "مثل ماذا" وبالاستعمال خصصت للاستفهام عن الكمية العددية كما حدث في "قدَّيش" المتقدم ذكرها. و"مهما" اصلها "ما وما" وهي في العبرانية "ما ومه" اي مؤلفة من ما الموصولة معطوفة على نفسها كأنهُ قصد بها في بادىء استعمالها المبالغة في معنى "ما". و"لنْ" النافية مخروتة من لا النافية وأن المصدرية فقصدوا بها في بادئ امرها نفي المصدر الذي يلمح فيهِ معنى الاستقبال ثم اطلقت لنفي الاستقبال وربما كان الاصل في "لم" كذلك "لا ام" لكنها قد تنوع معناها بحيث يعسر الحكم عليها قطعيًّا. ويقال بالاجمال ان جميع الادوات التي تفيد النفي على انواعه تكون اما تنوعًا للاداة الاصلية "لا" اومركبة منها واصل اخر

اما "لدُنْ" فهي "لدَي" بعد ان أُدخلت عليها النون التي هي من تنننات العرب فيلحقون بها اواخر الكلم للترخيم كالتنوين وكما هو الحال في "منْ" الموصولة فانها و"ما" من اصل واحد بدليل استعمال الاشوريين هذه الاخيرة بمعنى الاثنين وفي العبرانية لنا מה "مَهْ" اداة الموصول لغير العاقل و מי "مي" للعاقل ولم يزل العرب حتى الان يتننون باضافة النون في اواخر الكلم فان السودانيين منهم يقولون "كيْفن" بدلاً من كيف و "متين" في متى . و "متى" يرجح كونها مركبة من ما الاستفهامية واصل اخر يفيد الاشارة ربما كان "ذا" لانها هكذا في العبرانية والسريانية فيقول السريانيون "ما دَ اتا" اي متى اتى وبدلاً من "ما دَ" السريانية يستعمل العبرانيون "ماشِ" مركبة من ما الموصولة والشين التي هي بقية اسم الموصول "أشرْ". والدال السريانية هي اداة الموصول بنفسها

فبعد هذا التجريد قلّت الاصول الناشئة عنها هذه الادوات وصار يمكن حصرها في عدد قليل جداً اهمها 'لا' و 'إن' واخواتها و 'أو' و 'ما' الموصولة و 'منْ'

اما 'لا' النافية فيظهر ان النطق بها للنفي طبيعي بدليل وجودها في سائر اللغات على السواء بمعنى واحد فانها في اللغات الشرقية 'لا' وفي الطائفة الآرية no; او احد تنوعاتها والنسبة اللفظية بين هذين اللفظين واضحة لان اللام والنون من اكثر الاحرف تبادلاً لتقارب مخرجيها كما مر عليك . والنتيجة ان احد هذين المقطعين اصليٌّ فيها والاخر مبدولٌ منه وعندي ان النون هي الاصل بدليل اكثرية ورودها عموماً فهي عمومية في اللغات الآرية لانها في اللاتينية وفروعها ne و nemo و no و in وفي اليونانية ni وفي السنسكريتية an و na و no وفي الجرمانية nie و nein وفي الانكليزية no و nay و not و un و in وفي الفارسية 'نا' او 'نه' وفي القبطية :an وقد أُبدلت لاماً في اللغات الشرقية

لكنها تركت اثرًا يشير الى سابق وجودها فلنا في العبرانية אין 'أَين' بمعنى العدم المطلق ومثل ذلك און 'أَوِن'. وفي العربية لنا 'نهنه' و 'نأنأ' بمعنى كفكف وأبطل ولا يخفى ان الاصل في هذين الفعلين 'نا' او 'نه' كما في الفارسية وضوعفا للمبالغة كما اعتاد العرب في مثل هذه الظروف فانهم يقولون 'عَنْعَنَ' فلان اي اكثر من ذكر حرف الجر 'عَنْ'. ولا نكتفي بذلك بل نسأل أنى لهذه اللفظة الدلالة السلبية وهل وُجدت كما هي ام هي منحوتة عن اصلٍ سابقٍ لها. والجواب على ما ارى ان هذا المقطع هو من المقاطع التي ينطق بها الانسان غريزيًّا للنفي والاَّ لما تأتى للصدفة ايجادها على هذه الصورة من الطابقة في سائر اللغات. والنفي في ابسط احواله يحصل بمجرد رفع الصوت كما لو اردنا تقديم تفاحة الى طفلٍ مثلاً وقصدنا توجيه ارادته لاخذها فاننا نناديه بصوت منخفض قائلين 'تفاحة تفاحة' لكن لو اردنا زجره عن اخذها لرفعنا صوتنا قائلين ايضًا 'تفاحة تفاحة' بانتهار فيفهم قصدنا ويتضح ذلك في معاملتنا الحيوانات التي دوننا في الفهم فاننا اذا اردنا استدعاء الهر مثلاً نناديه بصوت معتدل 'بس بس ...' فيأتي آمنًا فاهماً مرادنا ولو اردنا طرده من امامنا لما احتجنا الاَّ لنفس الصوت مرتفعًا مصحوبًا بنبرة تهديدية (١). ولا يخفى اننا نستعمل مع رفع الصوت لزجر ذلك الطفلِ صوتًا غنيًّا حاصلاً من اطباق الفم واخراج الصوت من الانف اذ يسمع متوسطًا بين الميم والنون وربما تقلّده البعض بقولهم 'هِمْ' او 'هِن' وتستعمله العامة لزجر الاولاد عن اخذ شيءٍ ما والاطفال تفهم بالبديهة دلالة هذا الصوت على النهي. ولا يبعد ان يكون هو الاصل لجميع تنوعات النفي المتقدم ذكرها. ويؤيد ذلك كون هذا الصوت الغني يستعمل في اللغة المصرية القديمة بمنزلة 'لا' الناهية عندنا

١ ومن طرق النهي في اللغة الاشورية الحاق صوت تهديدي هذه حكايته (إِه) بصيغة الامر فيقولون في الامر مثلاً (إِفعل) وفي النهي (إِه إِفعل)

اما علاقة هذا المقطع بما قصد به فموكولة بالصورة الذهنية . كما اننا نقصد برفع الرأس نحو الوراء السلب او الرفض وباحنائه نحو الصدر الايجاب او القبول . ولا سبيل للتعليل عن هذه الاشارة ونسبتها لما قصد بها على اننا نجريها طبيعيًّا عن غير علم منّا

ومن غرائب النفي والايجاب ما لا يمكن التعبير عنه تعبيرًا واضحًا ما يستعمله بعض عامتنا علامةً للسلب وهو صوت يحاكي صوت السين او الصاد ويحصل بالصاق اللسان بسقف الحلق ثم خلوصه بطريقة تحاكي المص او "تسْ" . والسودانيون يستعملونه ايضًا وعندهم صوت آخر يقصدون به قولنا "نعم" او "مليح" والتعبير عنه بالكتابة تعبيرًا واضحًا صعب جدًّا . وهو يحصل بالصاق اللسان بسقف الحلق كالمرة الاولى وجعل الهواء يمر بعنف في الجهة اليمنى نحو القصبة. ومهما كان من امر هذه الاصوات وصعوبة التعبير عنها فهي موجودة واستعمالها جارٍ بكثرة بين الوف من الامم على اننا لم نسمع بوجود حرف يدل على لفظها فالظاهر انها حديثة الوضع والله اعلم

هذا ولا يخفى ان ما صح على "لا" يصح على كل تنوعاتها الناهية والنافية اما "لو" فلكونها شرطية وتستعمل حيثما قصد امتناع الجواب لامتناع الشرط ونظرًا لورودها في كتب اللغة مرارًا للتمني بمعنى ليت واحيانًا للعرض بدلًا من "ألا" ارجح كونها و ܠܘ "لو" السريانية شيئًا واحدًا وهذه الاخيرة منحوتة من "لا" والماضي من فعل الكون الذي هو في تلك اللغة ܗܘܐ "هوًا" فكأنّ الاصل في استعمالها للتمني كقولهم "لو تموتُ التعصبُ فيحيي الوطن" فكاننا قلنا "ليتنا نميتُ الخ" او العرض بمعنى "ألا" نحو "لو تنزل عندنا فتصيب خيرًا" والمقصود "الا تنزل ...." وجملة القول ان "لو" تعد من مركبات "لا" السابقة الذكر

اما "إنْ" و "إنّ" واخواتها و "أنْ" و "أمْ" فمن اصل واحد هو احداها

والدليل على ذلك ان في سائر اللغات الشرقية لفظةً واحدة هي אם 'إم' في العبرانية و ܐܢ 'إن' في السريانية و'إم' في الحبشية تقوم مقام جميعها استفهامًا واشارةً وشرطًا وتوكيدًا واستدراكًا

واذا سلمنا بوحدة اصلها يخطر لنا السؤّال عن كيفية احتوائها على كل هذه المعاني والدلالات . وعند ذلك يتبين ان الاصل في دلالتها التوكيد والتحقيق فتفرع عنهُ الاستفهام وهو طلب التحقيق والاشارة وهي التحقيق بعينه والشرط ويُقصد به حسب تعريف النحاة ترتيب وقوع امر على وقوع امرٍ اخر فكأنهم كانوا يقصدون بقولهم 'ان قام زيدٌ اقم' اي متى تاكد قيام زيد تاكد قيامي . اما الاستدراك فهو العدول عن الخطأ الى الصواب وفيهِ معنى التحقيق وهكذا فيما بقي من مدلولات هذه الالفاظ . اما الاختلاف اللفظي بين هذه الادوات فلا يعتد به نظرًا لسهولة التبادل بين الميم والنون كما قد مرّ في محل اخر وكما هو الحال في 'ذَنَب' العربية فانها مبدلة من 'ذَمب' في اللغة الاشورية والعامة تقول 'انتلى' عوضًا من 'امتلأ' اما من قبيل الاسبقية بين الميم والنون فالارجح انها للميم لانها من الاحرف السهلة النطق وهي كما اشرت في اول هذه الرسالة من الاحرف المتفق وجودها في سائر لغات البشر . ولا يخفى ان الاطفال في اول ادوار حياتهم اول ما يتلفظون بها فينادون بها اقرب الناس اليهم «أُمّهم» ويطلبون اوّل واهم احتياجات عيشهم فيقولون «مَمّا» قاصدين خبزًا ومن الغريب اتفاق وجود اسم الوالدة في سائر لغات البشر بلفظ واحدٍ تقريبًا والمقطع الاصلي فيه الميم

والاغرب من ذلك ان الميم في اللغة المصرية القديمة تستعمل حيثما احتيج الى ربط معنىً باخر فتكون اما حرف جر فتقوم مقام «من والى وعن وعلى وفي» او حرف عطف عوضًا عن «مع والواو» او ظرف فتقوم مقام «بين وحيثما وغيرهما» او حرف تشبيه بدلاً من «كما ومثل» وللتحقيق عوضًا عن «إنّ» واخواتها

وتتركب مع غيرها من الادوات فتولّد ادوات عديدة لمعانٍ شتى ويستعملونها قبل الاسماء بدلاً مّما هو في لغتنا تنوين النكرة فيقولون مثلاً au-a em sera اي « كنت ولدًا » فترى ان ;au-a تفيد « كنت » و;sera ولد و;em للتنكير. فيظهر ان بينها وبين نون التنوين عندنا نسبة لفظية ومعنوية كما ترى. ويؤيد ذلك كون هذه الميم تستعمل في اللغة الاشورية والعبرانية لبناء الظروف فيضيفونها الى اخر الاسماء فتصير ظروفًا فتأمل

وقصارى الكلام يقرب للعقل اسبقية الميم وكونها هي الاصل في كل هذه التنوعات اللفظية كما ان معناها الاصلي الذي هو التحقيق او التاكيد هو الاصل لكل تنوعاتها المعنوية

والسوال الاخير الذي لا مناص من مخامرته الذهن هو «أنى لهذا الحرف هذه الدلالة. ولا ريب ان في الاجابة عليه صعوبة على اني ارجح كل الترجيح انها و«أمن» في اللغات الشرقية من اصل واحد ولعل الميم هي من الاحرف الطبيعية التي ينطق بها الانسان غريزيا للتحقيق (١) والله اعلم

هذا ولا يفوت القارئ ان «ما» الموصولة وتنوعاتها لفظًا ومعنىً تنطوي تحت هذا الباب لانها مقلوب «إم» المتقدم ذكرها ولان «ما» في الاشورية تقوم مقام «إم» و«ما» العبرانيين اي إن وأن وإنّ واخواتها وأم وما الموصولية ومركباتها في العربية وقولنا «إن هذا الاملك» يضاهي قولنا «ما هذا الاملك»

اما «ما» النافية فاما ان تكون مبدلة من «لا» او «نا» واما ان تكون قد اكتسبت دلالة النفي بالمجاورة بمعنى ان الاشوريين مثلاً استعملوا «ما» الموصولة مع «لا» النافية كلمة واحدة مدةً للنفي ثم صاروا يستعملونها وحدها

١ ربما لاحظ المطالع بين هذه الميم والنون التي تبرهن كونها اصلاً لجميع تنوعات النفي مشابهة لفظية ومناقضة معنوية لكني اقول انه لا يستغرب استعمال احداها في اول الامر لكلا المعنيين اعني للتحقيق والنفي بتمييز نوع المعنى بدرجة نغمة الصوت كما سبقت الاشارة

ويقصدون بها النفي . وقد جرى مثل ذلك في اللغة الفرنساوية فالفرنساويون يقولون :personne: ويقصدون بها ‹ولا شخص› على ان معناها اصلاً ‹شخص› فتأمل

اما ‹أو› فالظاهر انها و‹أي› من اصل واحد بدليل تقاربهما لفظاً ومعنىً ويؤيد ذلك كونها في اللغات الشرقية اخوات العربية واحدة هي ‹أو› فيرجح كونها الاصل في العربية ايضاً . وهي تستعمل فيها لاحد عشر معنىً . الشك والابهام والتخيير والاباحة والجمع المطلق كالواو والاضراب والتقسيم والاستثناء بمعنى إلّا او بمعنى الى أن والتقريب والاشتباه والشرطية نحو لاضربنَّه عاش او مات . ومعلوم ان هذه الدلالات لا يمكن ان تكون جميعها اصلية ويستنتج من المقابلة ان الاصل في دلالتها الموافقة والمساواة بين امرين وعند ذلك يتبين لنا انها بقية لفظة ذات معنى في نفسها فُقدت من العربية وحُفظت في اخواتها فهي في السريانية ܐܘܝ ‹أَوِي› طابق او وافق وفي العبرانية אוה ‹أَوَهْ› اختار فيرجح ان هذه اللفظة في الاصل نظراً لتوافق المعنى واللفظ واجتماع معنى الموافقة والاختيار معاً اذ اليها تعود جميع تنوعات دلالة ‹أو›

اما ‹مِن› فتأتي لمعانٍ خمسة عشر يُرَدّ جميعها الى التبعيض و מן ‹مِن› في العبرانية جزء او قسم فربما كانت مشتقة من اصل يفيد قولنا قسَمَ اوجزّأ

وهكذا فيما بقي من الادوات فان معظمها قابل الردّ بالاستقراء الى اصله بشرط اعتبار فعل النحت وقابلية الالفاظ للتغيير والتنوع دلالةً ولفظاً

بقي علينا النظر في امر احرف الزيادة وفي هل هي بقية الفاظ ذات معنى في نفسها فاقول

ان فائدة هذه الاحرف محصورة فيما يحصل من الاشتقاق والتصريف في الافعال والاسماء فتدخل عليها وتنوع في معناها تنوعاً يختلف باختلاف ذلك

الحرف

وقبل الشروع في استقرائها اذكرُ شيئًا عامًا يتعلق باصل هذه الزيادة ان الاشتقاق والتصريف حادثان في اللغة . اعني اذا تتبعنا البحث في احوال اللغات من اسماها حتى ادناها نرى مميزات المشتقات تقل فيها الى ان تنتهي الى لغات لا اثر فيها للاشتقاق مطلقًا ومن هذه اللغات ما لا فرق فيهِ ليس فقط بين الماضي والمضارع والمفرد والجمع والمذكر والمؤنث بل لا دليل على وجود مميز بين الاسم والفعل والحرف كما مر في غير هذا المقام

واللغة عند اوّل ارتقائها تاخذ في استعمال ما لديها من الالفاظ لمعانٍ تخطر للمتكلم ولم تكن في ذهنهِ من ذي قبل فيركب وينحت عن غير قصد وينوّع في اللفظ والمعنى وهو لا يدري . ولا ينتبه بعد زمنٍ الاّ وقد توفر لديهِ من الفعل انواع ومن الاسم كذلك . وعلى هذا النسق تولّد الاشتقاق الفعلي فكان لنا منهُ اوزان عدة والتصريف الاسمي فكان لنا بهِ مميزات الجنس والعدد . والاختلاف الحاصل بين اللغات المرتقية في كيفية هذا الاشتقاق ونوعهِ يؤيد ذلك . فان في بعض هذه اللغات ازمنة فعلية لا اثر لها في البعض الاخر فهي في اللغات الشرقية اثنان ماضٍ ومضارع وفي اللغات الآرية نحو العشرة وكل من هذه يختلف عن كل من ذينك الاثنين . اي لو وجد زمن ماضٍ في الفرنساوية او الانكليزية مثلاً لا يكون في سائر طرق استعمالهِ كالزمن الماضي في العربية تمامًا . والعالم بشيء من احوال هذه اللغات يتأكد ذلك يقينًا . ثم ان من الصيغ الفعلية ما هو اساس هذه اللغة ومستغرب ورودهِ في غيرها فان صيغ المزيدات في العربية هي اصل المشتقات وعليها عمل عظيم في تنويع المعنى الاصلي اذ تكسبهُ خاصيات تختلف بين مبالغة وتعدية ومطاوعة ومشاركة ومبادلة ما لا يمكن التعبير عنهُ في اللغات الارية الا بالفاظ خاصة ذات معانٍ مستقلة . فنحن نعبّر عن حصول الضرب بين قوم على التبادل بقولنا ‹ تضاربوا › ولا يكفي لتأدية هذا المعنى في اللغات

الآرية اقل من اربع كلمات فالانكليز يقولون بالمعنى عينه „ they have beaten each other; والفرنساويون ; ils se sont frappés ; او ; ils ont frappé les uns les autres ; ولا يخفى ان باقي اللغات الشرقية تقرب من الآرية من هذا القبيل . وهكذا في ما بقي من صيغ المزيدات

ونرى من الجهة الاخرى ان من انواع الاشتقاق والتصريف في الطائفة الآرية ما تفوق به طائفتنا كالحاق بعض الادوات في اوائل الاصول او اواخرها للتعبير عن تكرار الفعل او نفيه او غير ذلك مما لا يسعنا تأديته إلّا باضافة الفاظ مستقلة كقول الفرنساويين ; venir ; المجيء ; revenir ; المجيء ثانيةً ; comprendre ; الفهم و ; malcomprendre ; اساءة الفهم وقول الانكليز understood ; فهم ; misunderstood ; ساء الفهم وهكذا في كثير مما لا يسعف المقام في استيفائه

والتصاريف الاسمية لا تقل اختلافاً عن الفعلية وهي تقوم بتمييز الجنس والعدد والنسبة والتصغير . والجنس في اللغات الشرقية وبعض اللغات الاخر نوعان فقط مذكر ومؤنث اما في اللاتينية واليونانية وغيرها من الطائفة الآرية فثلاثة مذكر ومؤنث وجنس اخر يدعونه بلغتهم ; Neutrum ; . اما العدد فبالعكس فانه ثلاثة في العربية واخواتها وفي اليونانية اعني مفرد ومثنّى وجمع واثنان في معظم الطائفة الارية اي مفرد وجمع . وزد على ذلك ان ما يُعتبر في هذه اللغة مذكراً ربما أُعتبر مؤنثاً في تلك وبالعكس فان لفظة ' بيت ' مذكرة مثلا في العربية ومؤنثة في الفرنساوية ; Neutrum ; في الانكليزية

فما تقدم يتضح ان الاشتقاق والتصريف حادثان في اللغة وانهما يتبعان كل امة حسب ظروفها . والاصل في دلالة الالفاظ ان تكون بسيطة ثم تتنوع دلالةً وتتكاثر لفظاً بمقدار درجة ارتقاء تلك اللغة . فاذا صحت هذه المقدمة ينتج ان العربية من ارقى اللغات بياناً

والاشتقاق والتصريف دائمًا التولد في اللغة ما دامت حية فالمتأمل في لغة عامتنا مثلاً يرى هناك مشتقات وتصاريف فعلية لم تكن في اللغة قبلاً اعني لم يتكلم بها العرب. منها قولهم 'بَعْرِفْ' بمعنى اعرف الآن وهي تدل على الحال ولا تتعداه فتخالف المضارع من هذا القبيل ويتصرف مع هذه الباء اي فعل كان ويشترط كونه على صيغة المضارع فتكسبه الدلالة الحالية فيقال 'بعرف' للمتكلم و'بتعرف' للمخاطب و'بيعرف' للغائب الخ . وهناك صيغة اخرى تفيد الحال مع الاستمرار كقولهم 'عمبَاكُلْ' وهي تفيد قولنا 'آخذٌ في الاكل على الاستمرار' ومركبة من الصيغة المتقدمة الذكر بالحاق 'عم' في اولها وقد ينوعون هذه الاداة فيقولون 'مِنْآكل' بابدالها 'مِن' وحرف الباء والمعنى واحد في كليهما اعني الحال المستمر. ويستعمل المصريون بمعنى الاستقبال القريب قولهم 'حَاشْرُب' اي 'سأشرب قريبًا' ويصرّفونها كما يتصرف المضارع مع سين الاستقبال فيقولون 'حَاشْرَب' 'حَتِشْرَب' 'حَيِشْرَب' 'حَنِشْرَب' الخ

فاذا نظر اجنبي* في هذه الصيغ المحدثة في لغة العامة وهو لا يعرف الا اللغة الفصحى الا يحكم لاول وهلة ان الباء في الاولى و'عم' او 'مِن' في الثانية و'الحاء' في الثالثة انما هي ادوات مثل احرف المضارعة وسين الاستقبال وما شاكل . وهل يخطر له انها بقايا الفاظ ذات معنى في نفسها . لا اظن . اما نحن الان نظرًا لكثرة المواد العامية لدينا ولسهولة حصولنا على حلقات موصلة بين هذه البقايا واصولها يسهل علينا استقراؤها وتتبعها الى تلك الاصول. فان عامة البيرو تبين تقول بمعنى الحال والاستمرار 'عَمّال آكل' وهي تؤدّي معنى 'عَمْباكل' او 'مِنآكل' تمامًا. وبالمقابلة يتاكد لدينا ان الاصل في هذه الاداة انما هو 'عمال' التي هي صيغة المبالغة من 'عَمَلَ' والتقارب في المعنى واضح . فتأمل كيف تحولت 'عمّال' الى 'عَمْ' وبالاخص الى 'مِن'

اما الحاء فتتبعها اصعب لاسيما لمن كان بالنسبة الى لغة عامتنا كما انا

بالنسبة للغة الفصحى وربما جنم باستعمالها وغير متردد . لكننا من مقابلة لهجة المصريين بلهجة السوريين يتيسر لنا معرفة اصلها بسهولة فان البيروتيين يقولون بمعنى الاستقبال القريب 'رَحاً شرب' اي سأشرب واللبنانيون يقولون 'رَايح' اشرب' بالمعنى عينه فمن مقابلة هذه السلسلة 'ح' ثم 'رَح' ثم 'رايح' يتضح جليًّا ان الاصل في هذه الحاء انما هو صيغة اسم الفاعل من فعلٍ ذي معنى بنفسه هو 'راح' اي مضى فلا غرو بعد ذلك اذا حكمنا بكون احرف الزيادة بقايا الفاظ مستقلة المعنى ولو لم يتيسر لنا استقراء جميعها الى اصولها . كما اننا نحكم قطعًا ان الياء في 'يعرف' بقية لفظة ذات معنى في نفسها ولو استحال علينا التوصل الى تلك اللفظة الان بيد اني لا اقنط من امكان استقراء قسم عظيم من هذه الاحرف فابدأ بالفعل

مزيدات الافعال وتصاريفها

ان الاحرف المزادة على الفعل الثلاثي لتكوين صيغ المزيدات هي الهمزة في أفعلَ والالف في فاعلَ والتاء في تفعَّل وتفاعلَ والالف والتاء في افتعلَ والالف والنون في إنفعلَ والالف والسين والتاء في إستفعل

فالالف في أفعل وتكسب الفعل اللازم معنى التعدية يصعب تتبعها وربما يستحيل فاضرب عنها صفحًا اما الالف في فاعلَ وتفاعلَ فقد حصلت بمد حركة الفاء وربما قُصدَ بذلك بادئ بدء نوع من المبالغة لتوهُّم ذهنيّ كما هو الحال في تضعيف عين 'فعَّل' كما سيأتي في محل آخر . اما التاء في تفعّل وتفاعلَ و'إِت' في إفتَعلَ فتفعلان على الفعل فتكسبانه معنى المطاوعة الذي يلمح فيه شيء من معنى المجهول . والمشترك بينها جميعها التاء . ولكي نصل الى الحقيقة يقتضي لنا الاستفهام عن اصل هذه التاء وكيف تأتت لها هذه الخاصة . وعند البحث والمقابلة باخوات العربية يظهر لنا انها بقية 'إِت' او ما يماثلها وهي لفظة من الالفاظ المطلقة لم تزل مستعملة في العبرانية بمعنى ذات ولا تقع الا مفعولاً بها

وهي في السريانية ܝܬ 'يت' وفي العربية 'ذات' مركبةً مع 'ذا' الاشارية اما الاصل وحده فقد فُقد من لغتنا على ما يظهر . وهذه اللفظة موجودة في سائر اللغات بمعنى الكون المطلق كما سيأتي في شرح القضايا التالية اما المطاوعات التائية في العبرانية والسريانية فأَقدر على تبيين كونها هي اصل المطاوعة في العربية ايضًا اذ انها تكتب في كليهما ملحقة في اول الفعل . ففي السريانية ܐܬܩܛܠ 'إِتفَعَل' بزيادة 'إِت' المتقدم ذكرها على المجرد الثلاثي وفي العبرانية قلبت الهمزة هاء فهم يقولون התפעל 'هِتفَعِّل' فلنا الان 'إِفتَعَلَ' و'انفعل' و'هِتفعل' بمعنى واحد وكلها تفيد المطاوعة . ونظرًا لكون كل من 'انفعل' و'هتفعل' يقوم مقام 'تفعَّل وتَفَاعَلَ وإِفتَعَلَ' يرجح كل الترجيح ان الاداة المشتركة بينها جميعًا هي 'إِت' . اما من قبيل مطابقة الدلالة الحاصلة من مجموع دلالة 'إِت' و'فعلَ' دلالة إِفتعل ورفيقاتها فواضح لانهُ قد تقدم ان هذه الاداة تفيد 'الذات' فكأنهم اول استعمالهم هذه الصيغة كانوا يقصدون بها انحصار الفعل في نفس الفاعل فقالوا 'إِت' قتل' بمعنى حصول القتل في نفس الفاعل وقد تنوع معناها بالاستعمال الى المطاوعة التي تقرب جدًّا من المجهول لانك تقول 'جمعتهُ فاجتمع' ولكثرة الاستعمال تولد النوعان الآخران

اما من قبيل وضع التاء بعد الفاء في 'إِفتعل' فيرد الى ناموس القلب بسهولة على ان بعض الناطقين بالضاد وهم كثيرون ينطقون بها كما في السريانية اعني بهم قاطني مصر فانهم يقولون 'إِتجمع' في اجتمع و'إِترفت' في ارتفت والاغرب من ذلك استعمالهم هذه الصيغة بدلاً من انفعل ايضًا فيقولون 'إِتكسر' بالتاء عوضًا من 'انكسر' بالنون و'انقطع' في انقطع وهذه الامثال كثيرة الورود بينهم بحيث يكاد يقال انهم ابطلوا صيغة انفعل وافتعل وأبدلوها بإِتفعل وكل ذلك من كلام عامتهم

اما الالف والنون في إنفعل فاما ان تكون 'إت' بعد الابدال كما سبقت الاشارة لتقارب المعنى بين إنفَعَلَ وإفتَعَلَ ولكون الصيغة الاولى لا وجود لها في السريانية فتنوب عنها الثانية . او انها بقية 'نفس، التي هي بمعنى 'إت' تماماً وهي في العبرانية والسريانية ܢܦܫ 'نفش' فما المانع من حصول النحت فيها بحيث خسرت حرفيها الاخيرين ويؤيد ذلك كون هذه الصيغة في العبرانية هي נפעל 'نفعل' بمعنى المجهول تماماً فربما قصدوا بها ماقصدوا بسابقتها. ولا عبرة في الهمزة الزائدة في إنفعل

واستفعلَ مزادفيها 'إست' التي تؤثر في معناها على كيفيات مختلفة ترد الى الطلب والميل وعند ذلك يلزمنا البحث عن كيفية حصول هذه الاحرف على هذه الخاصية وبالمقابلة يلوح لي انها بقية فعل فُقد من العربية وحُفظ في السريانية بمعنى مال وهو ܣܛܐ 'سطا' حيث قُلبت التاء طاء فهم يقصدون بقولهم 'استقتل' مال الى القتل او احب القتل وفي استغفر طلب الغفران وقس عليه. ومما لا بأس من ذكره ان 'إست' في التركية تفيد الارادة والطلب والسؤال والرجاء والرغبة والارتقاب

ومما يزاد ايضاً في الافعال نون التوكيد وهي تفيد تأكيد الطلب او التمني وبعد البحث يظهر انها بقية لفظة بمعنى 'هلمّ' او ليت' حُفظت في سائر اللغات الشرقية الا العربية فهي في العبرانية נא 'نا' تستعمل للطلب والتمني فيقولون שבה 'شب نا' ارجوك ان تجلس اوليتك تجلس وفي السريانية ܠܐ 'نا' او ܢܝ 'ني' وهي تُعد عندهم من الالفاظ المهملة ومنهم من يخطئون فيهما وفي السامرية 'نا' او 'ني' وفي الحبشية تكتب 'نَعَ' وتلفظ قريبة من 'نا' وهي تتصرف عند الحبشيين وهم يقصدون بها ما نقصد بقولنا 'هلمّ' . ولا يخلو كون هذه اللفظة مأخوذة عن اصل يدل على حدثٍ لم يعد مميزاً في اللغات الشرقية اما

في المصرية القديمة قلنا ;Na تفيد المجيء ويرجح ان هذه الدلالة هي الاصل في الجميع اذ ان هذه التنوعات مهما تعددت لفظًا ومعنىً ترد بسهولة اليها لان التوكيد في العربية يستعمل للامر والنهي والاستفهام والترجي والعرض والتحضيض والتمني والقسم وجميعها راجع الى تاكيد الطلب والتمني ويجمعها قولك 'هلمّ' وهذه تقرب بمعنى من 'جاء' على صيغة الانشاء فقولنا 'هلمّ نذهب' يضاهي قولنا 'تعالوا نذهب' فكأنّ العبرانيين يقصدون بقولهم 'شب نا' تعالى اجلس او هلمّ اجلس . والعرب بقولهم 'قُومَنّ' هلم قم او تعال قم . اما التشديد فعارض على النون كما عرض في انّ واخواتها وكما سترى عند الكلام على المضاعف

ومن اشتقاقات الفعل ايضًا اسم المفعول والفاعل واسم الآلة وجميعها الاّ الثلاثي المجرد يصاغ بزيادة ميم في اوله والاصل في هذه الميم على ما يظهر الدلالة الموصولية ففي قولنا 'مُكرِم' نقصد الذي يُكرِم او من يكرِم وفي 'مكرَم' نقصد الذي يكرَم اومَنْ يكرَم فنستدل ان هذه الميم هي بقية 'مَنْ' الموصولة اذ انها كثيرًا ما وردت في العبرانية متصلة بالافعال مجردة من النون . ويؤيد ذلك تطابقها لتلك الميم لفظًا ومعنىً بحيث يمكنها القيام مقامها تمامًا فان 'مِلقط' و'ما يلقط' بمعني واحد . ثم ان اسم الزمان والمكان يحملان على هذا التاويل مجازًا. اما اسم الفاعل والمفعول في الثلاثي المجرد فحاصلان في الغالب بمد احدى حركات الاصل

ومن المشتقات الفعلية المضارع الذي يصاغ باضافة احد احرف المضارعة وهي الالف والنون والياء والتاء في اول الماضي وما هذه الاحرف الا بقايا الضمائر المنفصلة اذ ان الالف والنون من مختصات المتكلم على اطلاقه والياء للغائب والتاء للمخاطب كما سيأتي في باب الالفاظ المطلقة وهي تقابل ضمائر الرفع المتصلة التي لا ريب في كونها مخوذة من الضمائر المنفصلة

ورب قائل كيف ان هذه الاحرف تفيد المضارع اذا أُلحقت في اول

الفعل والماضي اذا الحقت في اخره فاجيب ان اللغة في باديء امرها لم يكن فيها مشتقات فعلية ماض او مضارع فكانت لفظة ' ذهب ' مثلاً تفيد مطلق الذهاب غير مقترن بزمان فعندما كان يقصد المتكلم الدلالة على ان الذهاب حدث في زمن مضى كان يذكر اولا الفعل ثم الضمير فيقول مثلاً للمخاطب ' ذهب انت ' فكانه بتقديمه الفعل لفظاً يشير الى تقدم حدوثه معنى. و بعكس ذلك متى اراد الاستقبال فانه كان يقدم الضمير فيقول ' انت ذهب ' موخرًا الفعل بالوضع بناء على تاخره في الحدوث ثم خسرت الضمائر بعض اجزائها بالنحت طلبًا لتخفيف اللفظ فوصلت الينا على ما نشاهدها مدعوة من سلفائنا باسماء صورتها لم المخيلة وقد جرى ما يماثل ذلك في اوائل اعصر الاسلام فان بعض القبائل كانوا يقولون ' أنَ فعلت ' بدلاً من ' انا فعلتُ ' ويشهد لنا بكون احرف المضارعة هي في الاصل ضمائر حالة اللغات الاخر المرتقية حيث يقوم فيها الضمير المنفصل مقام حرف المضارعة عندنا فالاصل الدال على الذهاب في الانكليزية مثلاً هو " Go " فيصاغ منه الحال باضافة الضمير المنفصل في اوله فتقول في أذهب " I go " ومفادها حرفيًا ' انا ذهب ' وفي تذهب " you go ' ومفادها حرفيًا " انت ذهب " وهكذا في كثير من اللغات

تصاريف الاسماء

لنا من التصاريف الاسمية اولاً النسبة وهي تصاغ بزيادة ياء مشددة مكسور ما قبلها في اخر الاسم فمن " تَغْلَبْ " لنا " تغلبيّ " ومن " دمشق " ' دمشقي ' فخاصية النسبة موقوفة على الياء المشددة . وأنّى لها هذه الخاصية . يستدل من المقابلة بينها وبين ما يقابلها في سائر اللغات الشرقية انها في الجميع من اصل واحد اذ انها في العبرانية كما في العربية تمامًا اما في السريانية فهي ' يا ' مفتوح ما قبلها وهي الاقرب الى الاصل الذي هو ' اوي ' في السريانية يفيد ما هو في لغتنا وافق او ناسب كما تقدم وهو في العبرانية ' أوَه ' مال او قطن

وفي العربية 'أوى' مال الى او قطن . والظاهر ان الاصل في النسبة ان تكون الى الاماكن كبيروتي ودمشقي ومصري وعندما نرى ان ܒܝܬ 'بيت' تنسب في السريانية ܒܝܬܝܐ "بيتيا" بعد حركة التاء يتضح لنا ان ياء النسبة ليست الا بقية 'أوى' المتقدم ذكرها فما قولهم بيروتي الأساكن بيروت او مناسب لها وهكذا في البواقي . واما قولنا عليّ وادبيّ فقد استعمل مجازًا في بادىء الامر وكثر وروده حتى اعتبر حقيقيًا . ومما لا يخلو ذكره من فائدة ان 'أوى' تقابل 'aveo' اللاتينية . و 'aw' السنسكريتية وجميعها بمعنى 'مال الى' . وترى في الامثال المتقدمة ان الالف والواو قد فقدتا بالنحت لكنهما قد تظهران احيانًا كما في حي وحيوى ومن التصاريف الاسمية التصغير ويصعب علينا تعليله فنضرب عنه — ومما يشترك بين الافعال والاسماء من الزيادات مميز الجنس والعدد

اما * مميز الجنس * فليس اصليا في اللغة والدليل على ذلك كونه يقل في بعض اللغات ولا وجود له في البعض الاخر . قد تقدم ان اللغات الدنيا هي في الغالب خالية من مثل هذا المميز واقول الان ان بعض اللغات الآريه يميز فيها المؤنث من المذكر باضافة الفاظ مستقلة ذات معنى في نفسها الى اصل مشترك الدلالة يقابل اسم الجنس عندنا . ففي الانكليزية ؛ Goat ; ماعز يقصد بها المذكر اعتياديا لكن عند طلب التمييز ورفع الالتباس لا بد من اضافة ما يميزها من الضمائر فيقال ;he goat; المذكر و ;she goat; للمونث. وقد يحصل هذا التمييز باضافة كلمة 'رجل' او 'امرأة' فعندهم ;cook; تفيد قولنا 'طباخ' فيقولون لرفع الالتباس ;a man cook; رجل طباخ و ;a woman cook; امرأة 'طباخ' . وقد يحصل التمييز باضافة لفظة ديك او دجاجة الى الاسم المشترك فيقولون ;cock sporrow; مفاده حرفيًا ديك دوري ويقصدون به عصفور دوري و ;hen sparrow; دجاجة دوري يقصدون بها عصفورة دورية والانكليز لا مميز للجنس او العدد في

نعوت لغتهم مطلقًا فيقولون ;Good man رجل صالح ;Good woman:
امرأة صالحة ;Good men رجال صالحون ;Good women نساء
صالحات . وهذا النقص في الانكليزية محدود (في الاسماء) اما في الفارسية
فطلق على جميع اسمائها فلا يتميز الجنس فيها الا باضافة كلمة مستقلة المعنى
فيقولون ' شير ' اسد وهو اسم جنس فاذا ارادوا الذكر قالوا ' شير نرّ ' اي اسد
ذكر او المونث قالوا ' شير مادّه ' اسد انثى ويقصدون بها لبوة وهكذا الحال
في كثير من اللغات الطورانية فان في التركية يقال (كما في الفارسية) « قيون »
اسم جنس الغنم فاذا قصدوا خاروف قالوا ' اركك قيون ' ذكر غنم . او غنمة
' ديشي قيون ' اي انثى غنم وفي بعض المسميات البشرية يزيدون كلمة ' قِزْ '
ابنة على المذكر فيصير مونثًا فمن ' قرنداش ' اخ لنا ' قِزْ قرنداش ' اخت ومن
' أوغلان ' غلام ' قِزْ اوغلان ' صبية

اما في معظم اللغات المرتقية فيميز المونث من المذكر بحركة تجعل في اخر
الاسم او الفعل وهي من الفتحة فما دون حتى الكسرة فهي في اللاتينية واليونانية
' a ' او ' e ' وفي الفرنساوية ' e ' وفي المصرية القديمة والاشورية الفتحة او الكسرة
وفي العبرانية الفتحة مسنودة بالهاء وفي السريانية الفتحة مسنودة بالالف وفي
العربية الفتحة مسنودة بالتاء التي لا تلبث ان تعود هاء عند الوقف ومن الجهة
الاخرى تبدل الهاء العبرانية تاء عندما تحرّك فنحن نقول من قَبْلَ قتلت
للمونث وهكذا السريان ܩܛܠܬ اما العبرانيون فيقولون קְטָלָה « قطله »
بالهاء التي اذا اقتضت العوامل تحريكها تقلب تاء

فبناء عليه يرجح ان علامة التانيث ليست الا حركة وضعت طبقًا لصورة
ذهنية شاهدة بمناسبة هذه الحركة لدلالتها . ويوءيد هذا القول اتفاق وجودها
في اكثر اللغات على السواء على ان القياس يقتضي كونها بقية لفظة تفيد قولنا ' انثى '
والله اعلم

و﴿ مميز العدد ﴾ حادث في اللغة ايضاً بدليل اختلاف درجات هذا التمييز باختلاف اللغة . وتكلم عن مميز الجمع اذان المثنى فرع منه فيظهر من المقابلة كونه واحداً في سائر اللغات الشرقية اسمائها وافعالها ففي العربية النون في الاسماء والافعال الخمسة والميم في الضمائر . وفي العبرانية الميم في الجميع لكنها وردت مراراً عديدة مبدلة بالنون . وفي السريانية النون في الجميع ولم ترد ميماً على الاطلاق وعندما نتذكر قابلية التبادل بين الميم والنون يسهل علينا الحكم بوحدة اصلها في الجميع

وهنا يخطر لنا ان الميم في العربية تلحق باواخر الاسماء للتعظيم فيقال «رجل يجرم» اي بحر كبير وعند ذلك نرى بين هذه الميم ودلالتها وميم الجمع ودلالتها علاقة عظيمة بحيث يكاد يثبت يقيناً ان كليهما واحد اذان للتعظيم والكثرة صورتين متقاربتي الشكل في ذهننا . على انا بعد كل ذلك لا ننجو من السوال عن كيفية حصول هذه الميم على هذه الخاصية واذ ذاك نقول ربما كانت بقية كلمة اتفق وجودها في جميع اللغات الشرقية والمصرية هي «يمّ» بمعنى نهر كبير او بحر فمن وجودها في جميع هذه اللغات يستدل على كونها قديمة العهد جداً وربما كانت حكاية صوت للمياه اذا جرت بغزارة فتوهموا فيها معنى الكثرة ولله تمام العلم

هذا وكيف كان الحال سواء استطعنا تتبّع جميع هذه الالفاظ الى اصلها اولا ومهما كان في تعليلنا من الغرابة والتكلف فذلك لا يمنع كونها هكذا حقيقةً . وكون العقل يستدل بهذه الامثال القليلة ويحكم ايجاباً . قياساً على سائر اللغات واعتماداً على ما للظروف والاحوال من التأثير في الالفاظ وكيف انها فاعلة عليها دواماً فتنوعها لفظاً ومعنى بين نحت وابدال وقلب

واظن ما ذكرناه كافياً لاثبات القضية الثانية ضارباً صفحاً عن ابحاث اخر مطولة تتعلق باوزان جمع التكسير وحركات الاعراب واسباب المنع من

الصرف وغير ذلك من الاشتقاقات والتصاريف التي يقتضي لها بحث دقيق وزمن اطول ومقام ارحب

وممّا لا بد من ذكره ان معظم هذه الالفاظ المانعة الدالة على معنى في غيرها قد تولدت في اللغة قبل ان بوشر في جمها بازمان لا يعرف مقدارها والارجح انها تولدت في جميع اللغات الشرقية وهي في مهد أُمها اي قبل ان قضي عليها بالتشتت والتنوع ويؤيد ذلك ما بينها من المشابهة العظيمة من هذا القبيل كما مرّ

القضية الثالثة

ان الالفاظ المانعة الدالة على معنى في نفسها يرد معظمها بالاستقراء الى اصولٍ ثنائية (احادية المقطع) تحاكي اصواتًا طبيعية

تشتمل هذه الالفاظ على الاسم والفعل وما يشتق منها واللغويون يردون كلاًّ من الاسم والفعل الى اصول معظمها ثلاثية وبعضها رباعية لا يرون ان هذه الاصول قابلة للرد الى اقل من ذلك وعندي انها قابلةٌ ولو بعد العناء

فالالفاظ او بحسب زعمهم الاصول الرباعية قد اجمع مؤخرًا على انها ثلاثية مزاد فيها وهذه الزيادة اما قياسية فتكون سينًا او شينًا في اول الكلمة والمزيدات تكون على وزن سَفْعَلَ او شَفْعَلَ وهذا الوزن هو من جملة مزيدات

الثلاثي في اللغات الشرقية لكنه مات في لغتنا وما ورد منه حسبوه رباعيًا مجردًا اما السريانية فحفظته كباقي المزيدات وهو كثير الورود فيها وندر في العبرانية . فمن الالفاظ التي وردت على هذا الوزن عندنا قولهم سقلبهُ اي صرعه من قلبهُ وسلغفهُ بمعنى ابتلعهُ من لغفهُ . وسلجَ اي جرع جرعًا سهلاً من ملج الصبيُّ امهُ تناول ثديها بادنى فمه فرضع . وشبرقَ ملوح فيهِ معنى برق . ومن هذه الصيغة ما تستعملهُ العامة ولا اثر لهُ في كتب اللغة كقولهم سهد بمعنى مهدَ وشلهبَ بمعنى لهبَ وغير ذلك . ومن الرباعي المبتدإ بسين او شين اسماء كثيرة جميعها تتضمن معنى الطول والسعة

وقد تحصل هذه الزيادة بمضاعفة حرف او اكثر من الاحرف الاصلية كجلببَ وبلبلَ وقصقصَ وقطقطَ وطقطقَ وصهلصلقَ وما شاكل . او ان تكون حرفًا دخيلاً وهو في الغالب احد هذه الاربعة «ل م ن ر» فيزاد في اول الكلمة كما في نبذرَ بمعنى بذرَ ولهذمَ كهذمَ بمعنى القطع ودحدرَ من حدرَ وغيرها . او في وسطها كسلطحَ من سطحَ اي اتسع وسلحفَ من زحفَ او سحفَ وبرعطَ من بعطَ وخرمشَ من خمشَ وشربكَ وشنبكَ من شبكَ وشمرق من شرقَ ويقال فقّعَ اصابعهُ وفرقعها . او في اخرها كقولهم الفعل "الملآن" من فعمَ وبحثرَ بمعنى بحثَ وبعثرَ بمعنى بعثَ وسحفرَ اي مضى مسرعًا من سحف التي حفظت في زحف وقطعنَ وقطعرَ من قطع وقس عليهِ وقد تكون الزيادة على طرق اخرى لكنها لا تخرج بالحقيقة عن هذه الا فيما هو اجنبي كبعض الكلمات الفارسية ولا ضابط لها (منها الطست والخوان والسكرجة والجزدباج من الفارسية واكسدَ والميكروسكوب والتلسكوب واسماء اخرى علمية من اليونانية واللاتينية) وبعض ما كان على وزن فعلنَ هو من السريانية او العبرانية مأخوذ عن صفة كشيطنَ من شيطان وقطرنَ من قطران وعربنَ من عربون وقس عليهِ

﴿والاصول الثلاثية﴾ هي الاكثر ورودًا فلذا كان البحث فيها اكثر

اهمية . وقد تبين فيما تقدم ان الاصول الرباعية مزيدة والاصل فيها ثلاثي واقول ان الثلاثي ايضاً مزيد والاصل فيه ثنائي غالباً وايضاحاً للموضوع اقسم الادلة الى قسمين

اولاً . استقراء الفاظ اللغة العربية ومقابلتها ويفيدنا غالباً في الاصول الفعلية

ان الباحث في دلالة الالفاظ العربية المدعوة مجردة يرى ان للمعنى الواحد الفاظاً عديدة تقرب من بعضها لفظاً وانه يمكنه تقسيم الفاظ المعنى الواحد الى مجموعات تشترك الفاظ كل مجموع منها بحرفين هما الاصل المتضمن المعنى الاصلي والزيادة ربما نوعته تنويعاً طفيفاً مثاله قطَّ وقطبَ وقطفَ وقطعَ وقطمَ وقطلَ جميعها تتضمن معنى القطع الاَّ ان كل واحدة منها استعملت لنوع من تنوعاته فالثاني والثالث يتضمنان مع القطع معنى الجمع والخامس العضّ والسادس الشدة والاصل المشترك بينها قطّ وهو بنفسه حكاية صوت القطع كما لا يخفى ويجانس قطّ قصْ ومنها قصّ وقصمَ وفصلَ وقصبَ وقصرَ وقصفَ وقصا جميعها تفيد القص ويجانس قص قضْ ومنها قضّ وقاضَ وقضمَ وقضبَ وقضعَ ويجانس قص كسْ ومنها كَسّ وكسرَ وكسعَ وكسحَ وكسمَ والاولى والاخيرة من هذه السلسلة تتضمن معنى الدق والفت ويجانس قصْ ايضاً جذ ومنها جذَّ وجذب "يقال جذب الريق اذا انقطع" وجذرَ وجذفَ وجذمَ وكلها بمعنى قطعَ ويجانس جذ جزْ وهذه حكاية صوت المقص اذا جزّ شعراً او صوفاً ومنه جزّ وجزأ وجزرَ وجزعَ وجزحَ وجزلَ وجزمَ وجميعها من باب القطع . هذا وتنوعات هذا المعنى تفوق المئات عداً وقد تصرفوا في استعمالها على طرق مختلفة حقيقةً ومجازاً وكلها ترد بالاستقراء الى اصل واحد هو حكاية صوت كما رأيت وهكذا الحال في القسم الاعظم من كلمات اللغة فمن هب بمعنى ثار او هاج لنا هبَّ وهبجَ

ضرب شديداً وهَجَ ورَمَّ وهبذعدا واسرع في المشي وهبش بمعنى هبج وهبصَ الرجل نشط وعجل وقلق واخيرًا هبا الفرس فرّ فترى ان جميعها يتضمن معنى ثار او هاج و"هب" في حكاية صوت اللهيب اذا نفخته الريح . ولنا بمعنى الدق والشد لتّ ولتبَ الناقة في انفها طعنها ولتخهُ ضربهُ ولخَ مثل لطخَ والشيء شقهُ ولتدهُ اي لكزهُ وهكذا اللتزُ ولتعهُ ولتمهُ كلها بمعنى الضرب والاصل المشترك بينها لتّ . ويجانسهُ لط ومنها لطأ اي لزم وكتم والباب اغلقهُ والشيء بهِ لصقهُ ولطأهُ اي ضربهُ على ظهره ولطأ بالارض لصق بها ولطثهُ ضربهُ وهكذا لطحَ ولطخَ ولطسَ ولطشَ ولطعَ ولطمَ ولطهَ وجميعها تنوعات معنى واحد . ولنا بمعنى الطلاقة واللطف والانبساط بس وبسأ وبسم وبسط وبسل وبسن اي حسنت سحنته وكلها ترد الى معنى واحد ومقطع واحد هو بس وربما كان الاصل فيهِ بش وهو من الاصوات التي ينطق بها الانسان غريزيًا عند الاستحسان كما لا يخفى . ولنا بمعنى النتوء والبروز نبّ ونبتَ ونبثَ بمعنى حفر وكذلك نبش ونبج ونبذ ونبر ونبط ونبض ونبع ونبق ونبه « بمعنى اشتهر بالشرف » ونبا وجميعها تفيد النتوء والبروز والاخراج اما نبّ فقد جاء في حديث الجدود يعمد احدهم اذا غزا الناس فينب كنبيب التيس وقال في النهاية النبيب صوت التيس عند السفاد . والتف والتفتُ وسخ الاظافر ويقاربهُ تفيَّ وتفلَ بصقَ وجميعها تشترك بمقطع « تف » وهو من الاصوات التي ينطق بها الانسان غريزيًا عند القرف ومنها ايضًا التفن اي الوسخ وتفه قلّ وخس . ومن انواع الفتح لنا فقّ وفقأ وفقع وفقرَ وفقص وفقش وفقس والعامة تقول فقع وجميعها ترد الى فق وهذه حكاية صوت القربة اذا شقت وهي ملآنة او ما شاكل

فترى فيما تقدم من الامثال ان الحرف المزاد واقع في اخر الكلمة وهذا هو الاغلب الا انهُ قد يكون في الوسط اي بين الحرفين الاصليين كشلقَ من شق وفَرق من فق وفرطَ من فط وقرصَ من قص وقرضَ من قض وشرقَ من

شق ايضاً ولحس ولمس ولمس من لسَّ ويجانس فقٌ بقٌ ومنها برّق وبعق .
ولهط من لط بمعنى ضرب . وقد يكون في اول الكلمة نحو رفت مرفت
ولهب من هب ورفض من فض ولمس من مس وفطح وبطح من طح ونذّل من ذل
وغلفَ من لف وقس عليها ما لا يسعف المقام في استيفائهِ . وسياتي شرح ذلك
باكثر ايضاح فيما بعد

كيف حصلت هذه التنوعات

كل من هذه التنوعات اما ان يكون حاصلاً من تركب اصلين لكل منهما
معنى في نفسهِ او لا فاذا كان الاول كان حصوله على طرقٍ منها النحت اي
ادغام كلمتين فاكثر وجعلها كلمة واحدة كما مرّ وهذا رأي بعض اللغويين في
الرباعي وعندي ان لا مانع من اطلاقهِ على الثلاثي ايضاً بدليل وجود افعالٍ
ثلاثية قابلة الحل الى اصلين لكل منهما معنى في نفسهِ منها "قطف" ويفيد القطع والجمع
والاصل فيهِ على ما ارى « قطْ لفْ » الاولى قطع والثانية جمع وبالاستعمال
أُهملت اللام ونقلت حركتها الى ما قبلها فصارت قطف . وقمش اي جمع ما على
الارض من الفتات فانها ترد الى اصلين قمْ وقش الاول بمعنى كنس والثاني جمعَ
فكانوا اذا ارادوا كنس شيء ما وجمعهُ قالوا "قمْ قشْ" وبالتخفيف أُلغيت القاف
الوسطى فقيل قمشَ . وهكذا في بجّ فانها ترد الى "بعْ بجْ" ومثل ذلك كثير في
الالفاظ الثلاثية وان استبعد بعض اللغويين هذا التعليل فهو غير مستبعد عند
من لهُ شيء من الاطلاع على خصائص الالفاظ وقابليتها للابدال والنحت وفضلاً
عن ذلك ان من يسلم بامكان حدوثهِ في الرباعي بان ينحت من اربع او خمس كلمات
كلمة واحدة كقولهم بسملَ « قال بسم الله » وسبحل « قال سبحان الله » وهلّلَ
« لا اله الا الله » وحوقلَ « لا حول ولا قوة الا بالله » وحمدلَ « قال الحمد
لله » وحيعلَ قال « حي على الصلاة حي على الفلاح » وطلبقَ « قال اطال
الله بقاءك » وجعلف « قال جعلت فداك » ودمعزَ « قال ادام الله عزك »

لا يستبعد حدوثها في الثلاثي من كلمتين ولنا فيما تقدم عن لغة عامتنا دليل

او يتم بواسطة الترخيم اي اهمال القسم الاخير من الكلمة تفنناً في اللفظ كقولهم يا ابا الحكا في يا ابا الحكم وامثال الترخيم كثيرة في العربية منها قولهم احتسى في احتسب وتجوّى في تجمع وتجنّى في تجنب وشجا في شجب و باهاه في باهجه واعتى في اعتمد وتقنّى في تقنع واحتفى في احتفل وفصا في فصل ووصى في وصل وتطّى في تمطط وتغضّى في تغضض وتدلى في تدلدل وتطلى في تطلطل والسادي في السادس وغيره مما يضيق عنه المقام والعامة تقول "تعا" في تعال فلا يبعد تركب اصلين ثنائيين وتحولهما معاً الى اصل واحد ثلاثي على طريق الترخيم

واذا لم يكن لكل من اللفظين معنى في نفسه لا يخلو اما ان يكون لاحدهما او لا فان كان الاول كان في الغالب احد اللفظين فعلاً والاخر حرفاً زيد اعتباطاً وهو في الغالب احد هذه «ل م ن ر» وربما توهم الواضع في هذه الزيادة شيئاً من المبالغة او تنوع الفعل بما يطابق قصده نحو فض ورفض وهب ولهب وشق وشلق وكن وسكن وربما كانت هذه مزيدة سابقتها فتكون على صيغة سفعل السابقة الذكر الخ . اما المضاعف والاجوف والناقص فتولدها اقرب من الجميع اذ لا فرق بينها وبين الاصل الا بمقدار الصوت لا بنوعه وسيجيء تفصيل ذلك . واذا لم يكن لاحدهما معنى في نفسه اي ان لا يكون اسما ولا فعلاً فلا يخلو ان يكون حرفاً وربما كان اسما او فعلاً في الاصل ولم يعد مميزاً الآن ولدينا من هذا لنوع بعض الكلمات العربية نقدمها مثالاً . ان من ينظر لفظة "مال" بمعنى مقتنيات لا يخطر له الا انها اصل مستقل على انه من المؤكد كونها مركبة من "ما" الموصولة ولام الاضافة فكانهم بقولهم "مالك" يقصدون الذي لك اي مالك ومقتنياتك ولكثرة الاستعمال اصبحت كانها كلمة واحدة كما حدث في (اشرل . .) العبرانية فتحولت الى "شل" وقد خُصت "مال" الآن للدلالة على نوع النقود من المقتنيات على حين انها قد تستعمل بمعنى "شل"

العبرانية اي خاصة وقد صرفوا هذه اللفظة وشقوا منها مشتقات عدة فقالوا ماله يموله مولاً اعطاه المال . ومالَ صار ذا مال وهكذا موّله صيّره ذا مال وأماله اعطاه المال وتموّل الرجل كثر ماله . ويقولون رجلٌ مال اي متموّل معاً ولا يبعد ان يكون مال يميلُ مأخوذ عنه فان الاصل في مؤدى هذه حبَّ ورغب والمال احب وارغب ما لدى الانسان . وهكذا اذ بحثنا عن « نور » او « نار » نراها مركبة من اكثر من اصلٍ واحد لانها في العبرانية « أُور » وفي الاشورية « أُرّ » ولنا في العربية ما يدل على سابق وجودها على هذه الصورة فاننا نقول استأورِ فلانٌ اي عجل في الظلمة وهي على صيغة استفعل مصاغة من اصلٍ ربما كان « آرَ » ونظراً لدلالة هذه الصيغة على الطلب والرغبة يرجح ان قصدهم باستأور فلانٌ في الظلمة انه اسرع يطلب النور ولنا ايضاً « الأُوار » حر الشمس والنار ومنها مجازاً العطش والدخان واللهب والجَنوب جمعها « أُور » ومن ذلك قولهم « الآر » اي العار . وربما كان هذا الاصل حكاية الصوت الطبيعي الذي يخرجهُ الانسان اذا مسته النار اما النون فاما ان تكون بقية كلمة ذات معنى او انها لا معنى لها الحقت اعتباطاً

وكذلك الحال في ' ويل ' التي لاريب في كونها مؤلفة من ' وَيْ ' لفظ تأوُّه وهو من الاصوات الطبيعية ولام الاضافة ويؤيد قولنا هذا حالتها في اخوات العربية فان ما نعبر عنه بقولنا ' ويلي ' كأن ' ويل ' كلمة واحدة يعبر عنه العبرانيون والسريانيون بقولهم ' وَيْ لي ' وقد وردت ' وَيْ ' وحدها مراراً عديدة في العربية كقولهم ' ويك ' وما شاكل ومع ذلك نراهم قد جمعوا لفظة ' ويل ' وصرفوها على المزيدات فقالوا ويّل وتويّل وتوايلَ واستعملوها اسماً لوادٍ في جهنم وشقوا منه اسم مرة فقالوا ويلة ويقصدون بها الفضيحة وزد على ذلك انهم ركبوا من ' وَيْ ' عدة كلمات منها وَيْح ووَيب وربما كان اصلها وَيْ أَب للاستغاثة به ووَيْخ ربما من ' وَيْ أَخ ' ووَيْس ووَيْه ولم يكتفوا بذلك بل ركبوا من ' وَيل '

قولهم "ويلمه" بمعنى داهٍ فيقولون لمن عرف بالدهاء "ويلُمّهِ" وهي منحوتة من وَيْ لامهِ او وَيلٌ لامهِ فتامل . وهكذا الواقع في الفعل الناقص "ليسَ" الذي هو بحسب الظاهر اصل مستقل فانهُ مركب من "لا" حرف نفي و"أيس" الكون المطلق فادغمتا معًا وكونتا كلمة واحدة كما رأيت . وهذا الاصل "أيس" الدال على الكون المطلق هو واحد في اكثر اللغات المرتقية لاسيا القديمة ففي العبرانية "يش" وفي السريانية ܐܝܬ "إيت" وفي اللاتينية والسنسكريتية والفارسية واليونانية وفروعهن "est" وقد تركبت "إيت" السريانية مع "لا" النافية فكونت ܠܝܬ "ليت" لنفي الكون المطلق مثل "ليس" وهي تذكرنا بالحرف المشبه بليسَ اعني به "لات" ولا يخفى ان ليس من الافعال الناقصة فلا يبعد انها كانت تكتب "لا أيس" ولا تستعمل الا منفية كما تكتب اخواتها ما دام وما برح وما انفك وما زال الخ ولكثرة الاستعمال خُففت وبناء عليهِ كان يخشى ادغام هذه او بالحري نحتها الى كلمة واحدة لو لم تكن اللغة مدونةً ومحافظًا على كلماتها وجوبًا . ومثل ذلك في قولهم لشا بلشوُ لشوًّا اي خسَّ بعد رفعةٍ فانها منحوتة من "لا شيء" ويوضح اصلها من مزيداتها فيقال لا شاه ملاشاة فتلاشي تلاشيًا ضمحله وصيره الى العدم والعامة تقول تلاشى المريض اي انحطت قوتهُ وقارب الوفاة . اما قولهم "لشا" بمعنى خسَّ فيذكرنا بقول الفرنسويين بهذا المعنى تمامًا "lache". هذا ما وصلنا اليهِ على طريق مقابلة الفاظ اللغة فلننظر في القسم الثاني من الادلة وهو

استقراء بعض احوال اللغات الاجنبية وحملها بقياس التمثيل

على لغتنا وهذا يفيدنا غالبًا في الاصول الاسمية

جُمعت اللغة العربية بعد الاسلام بقليل . واقدم ما لدينا من الكتابات انما هو القرآن الكريم وقد وصل الينا بعض الاشعار المنظومة قبل ذلك الحين

بزمن يسير لكن لا فرق بينها وبين اللغة المجموعة بما يستحق الذكر . وخلاصة القول ان العربية يوم جمعت كانت على جانب عظيم من الارتقاء والتهذيب وقد أُجبر المتكلمون بها المحافظة على نسقها محافظة تامة بحيث ان اللغة الكتابية في ايامنا لا فرق بينها وبين ما كان يكتب قبل الاسلام بما يستحق الاعتبار على اننا لولا محافظتنا على كتب اللغة كما سبقت الاشارة اي لو اتبع كل جيل اصطلاحات اهله لامست اللغة العربية الفصحى لدينا الآن لغةً اعجمية نكاد لا نفهمها ولتنوعت وتعددت لغات الكتابة اكثر كثيرًا مما هو هو الواقع في لغة الكلام ولتعذر على السوريين فهم كتابة المصريين والمصريين كتابة المغاربة وبالعكس وبعبارة اخرى لتفرعت اللغة العربية الى فروع مختلف بعضها عن بعض اختلافًا لا يقل عما هو الحال بين فروع اللغة اللاتينية (الفرنساوية والطليانية والاسبانيولية والسويدية وغيرها) ولكنا نضطر في فهم كتابة اسلافنا وزملائنا الدرس اللغة العربية القديمة وفروعها الحديثة كما هو الحال في فروع اللغة اللاتينية . فبناء على ما تقدم ليس لدينا من المواد التي تعين في تتبعنا اصل الفاظ لغتنا كما يرام فلعله من النظر الى اللغات الاخرى ينجلي لدينا شيء من امرها

معلوم ان اللغة في اول نشأتها وابسط احوالها مؤلفة من الفاظ قليلة العدد كافية لتفاهم المتكلمين بها بالنسبة لبساطة احتياجاتهم ثم متى ارتقت احوالهم واحتاجوا لكلمات جديدة يعبرون بها عن معانٍ لم تكن في ذهنهم من ذي قبل يركبون من الكلمات التي لديهم ما يسد عوزهم وقد يسلكون في ذلك مسلكًا آخر فان سكان المكسيك القدماء اول مرة رأوا سفينة ولم يكونوا يعرفونها قبلاً وبالنتيجة لم يكن لها في لغتهم اسم دعوها ' اكالي ' اي بيت مائي والقاطنون ميسوري لم يكن لديهم من الادوات الا الصوانية فاول ما جيء اليهم بالحديد والنحاس دعوا الاول ' وتساسبسا ' اي حجر اسود والثاني دعوه ' وتساهيمبسي ' اي حجر احمر . وعندما رأى بعض هنود امركا الفرس لاول مرة دعوه بما مفاده

"كلب بحري" واخرون دعوه بما هو اغرب من ذلك فقالوا ما تعريبه "خنزير يحمل انسان" ومن غرائب اللغة الصينية تعبيرهم عما نعبر عنه بقولنا "فضيلة" باربع كلمات معناها «امانة – شفقة – اعتدال – عدالة» وعن الوالدين بقولهم «اب – ام» . والمكسيكيون اول عهدهم بالماعز وضعوا لها اسماً لا يقل غرابة عن تسمية زملائهم الصينيين وهو بلغتهم «كوا كُواوْ تشسون» وتعريبها حرفياً "راس شجرة شفة شعر" فقصدوا بقولهم "راس شجرة" القرون و "شفة شعر" اللحية وبعبارة واحدة الحيوان ذو القرون واللحية . واهل مالاي يدعون السهم "اناك بناه" اي ولد القوس (١) والاوستراليون يعبرون عن "متفق" بقولهم "غورد وجنبال" اي "قلب واحد اتى" ومن المؤكد ان هذه الكلمات لم يمرّ عليها بعض السنين من وضعها حتى تصرف المتكلمون بها على طرق مختلفة نحتاً وابدالاً وقلباً بحيث لم يعد تمييزها سهلاً فكيف يمكنهم بعد ان تبلغ لغتهم مبلغ لغتنا من الارتقاء والتهذيب ان يخطر لهم او ان يحلموا ان تلك التسميات مركبة اصلاً من الفاظ ذات معانٍ مستقلة .

والنحت يفعل في تغيير صور الكلمات فعلاً عجيباً يكاد يفوق التصديق فان المدنجو من قبائل افريقيا الجنوبية كانوا يعبرون عن "إخت" بقولهم "مي بادوى دنغو موسو" ومفادها حرفياً "انثى ولد امي" لكنهم نحتوها بالاستعمال فصارت "مبادنوسو" واغرب من ذلك ان زنوج "غريبو" يعبرون عن حاسية الغضب بقولهم "إه يا موكراوودي" ومعربها "قد تأ عظمٌ في صدري" لكنهم يسرعون في لفظها فتسمع "يا مكروري" والاغرب ان سكان جزيرة "ڤانكوفر" لاول مرة شاهدوا رجلاً افرنجياً ذا لحية طويلة وضعوا له في لغتهم اسما وهو "يكيكوكسالكوس" ومفادها حرفياً "طويل – وجه – شعر – رجل" لكنهم

١ لا يخفى ان في العربية كثيراً من هذا النوع من التسمية كقولهم ابنة العنب للخمر وابنة الحان لها ايضاً وغير ذلك غير ان هذه التسميات حديثة الوضع عندنا وقد وضعت تفنناً في البيان والدليل على ذلك ان لهذه المعاني كلمات اخرى مفردة في لغتنا اما في اللغات الاخرى فهي التسمية الوحيدة

حرفوها ونحوها حتى صارت 'يكبوس' فتامل

ومثل هذه الامثال كثير في الطائفة الآرية ومعظمها مركب من كلمات لاتينية او يونانية او غيرها وكل من له المام في احدى هذه اللغات يؤكد ذلك ونأتي هنا بمثل او اثنين فقط للتمثيل فان 'fortnight' الانكليزية منحوتة اصلاً من كلمتين انكليزيتين 'forteennight' اي ١٤ ليلة وdouble بالفرنساوية والانكليزية 'مضاعف' اصلها من كلمتين لاتينيتين 'duo plic' اي 'ضعفين' وكذلك الحال في triple و quadruple واخواتها فانها مركبة من plic المتقدمة الذكر والاعداد اللاتينية tre , quatuor الخ والاصول الفعلية المركبة في اكثر كثيراً في هذه اللغات فانك قلما تجد فعلاً الا وتراه منحوتاً من اصلين فاكثر سابقين له الواحد في الغالب فعل والاخر اداة وهذا النوع من التركيب خاص بهذه الطائفة وهو اشهر من ان يذكر لكننا نذكر هنا مثلاً واحداً يبين مقدار ما وصل اليه هذا التركيب فقد ركب اللاتينيون من 'vox' 'صوت' سلسلة افعال واسماء . منها 'vocabulum' كلمة revocabulum قابل النقض و irrevocabilis غير قابل النقض وهكذا في ما بقي مما لا حاجة لذكره فاضرب عنه صفحاً خوف التطويل

ومن طرق التعبير في اخوات العربية ما ربما يلقي على بحثنا بعض النور فان العبرانيين يعبرون عن قولنا 'افتكر' بقولهم ما تعريبه 'قال في قلبه' وعن 'عائلة' بقولهم 'بيت أب' فجميع هذه الكلمات المركبة يمكن ان تنحت بالاستعمال الى كلمات مفردة لا يسهل تتبعها الى اجزائها المؤلفة هي منها

هذا ولا يخفى ان قسماً عظيماً من الافعال العربية اصلها اسماء جامدة ربما كانت في الاصل اعجمية معربة والغالب فيها ان تكون رباعية كقولهم 'فلسف' وتفلسف الرجل تحكّم 'من الحكمة' وتحذق بالشيء والاصل فيها كلمة يونانية هي ;philosofia 'الفلسفة' وهذه مركبة من اصلين ;philia'

حب و ;sofia الحكمة وامثال هذه الكلمات كثيرة في العربية مأخوذة عن الفارسية او اليونانية او اللاتينية او غيرها واللغة لاتنفك عن الاستعارة في كل آن وزمان فان العامة تقول "سَتَّفَ" بمعنى رتّب صفوفاً بعضها فوق بعض وهذه اللفظة كثيرة الاستعمال بينهم ولا نرى لها اثراً في كتب اللغة فالظاهر انها مولدة ويؤيد ذلك انها في الانكليزية ;stow' التي في و ;stuff تلفظ "ستف" من اصل واحد فيرجح ان عامتنا اخذت هذا الفعل عن الانكليز. ولو حصل ذلك قبل ان جمعت اللغة لكانت هذه اللفظة معدودة الان بين الالفاظ العربية ولما تجرأنا على القول بانها مأخوذة عن لغة اعجمية فما المانع من حصول مثل ذلك في اللغة قبل ان جمعت اذ كانت اشد قبولاً لمثل هذه الاستعارات نظراً لاحتياجها للالفاظ اذ ذاك ولانها لم تكن مدونة محدودة محظور على الناطقين بها استعمال الالفاظ الاعجمية

والخلاصة اننا نستدل من امكان تجريد قسم عظيم من الاصول الثلاثية الى اصول ثنائية تحاكي اصواتاً طبيعية ومن كون الفاظ اللغة من شانها التغيُّر والتنوع لفظاً ومعنىً على ان الالفاظ المانعة الدالة على معنى في نفسها يرد معظمها بالاستقراء الى اصول ثنائية احادية المقطع تحاكي اصواتاً طبيعية



القضية الرابعة

ان جميع الالفاظ المطلقة قابلة الرد بالاستقراء الى لفظ واحد او بضعة الفاظ

ان الالفاظ المطلقة هي التي يمكن الدلالة بواحدة منها على اي نوع من الموجودات كما سبقت الاشارة وهي تشتمل على الضمائر واسم الاشارة واسم الموصول ويرى الباحث المتأمل في احوال هذه الالفاظ في لغات مختلفة انها تكاد تكون واحدة في جميعها وانها من الادلة الواضحة على وحدة الاصل فيها . فبناء عليه ارى من المناسب الاشارة عند الاقتضاء الى اوجه المشابهة بينها لعلها تسعف في تتبع الاصل المتفرعة عنه كل هذه الفروع . وعلى كلٍ ساقتفي في ذلك جانب الاختصار بقدر الامكان

فلنبحث اولاً في الضمائر ولنرسمها في كلٍّ من اللغات الشرقية المقابلة

تنبيه اول ترى في الجدول الذي يلي ان النون في مطلق المخاطب في السريانية تكتب ولا تلفظ و يعبر عن ذلك برسم خط تحتها كما ترى في الامثال السريانية والكاف في السريانية والعبرانية تلفظ غالباً خاء تنبيه ثان . وترى ايضاً ان هذه الضمائر ليست كل ما يستعمله القوم بل هو الاكثر وروداً

	العربية			السريانية			العبرانية		
	رفع منفصل	رفع متصل	نصب متصل	رفع منفصل	رفع منفصل	نصب متصل	رفع منفصل	رفع متصل	نصب متصل
المتكلم	انا	تُ	ي	ܐܢܐ 'انا'	ܬ 'ت'	ܝ 'ي'	אנכי 'انكي'	תי 'تي'	י 'ي'
المخاطب	انت	تَ	كَ	ܐܢܬ أنت	ܬ 'ت'	ܟ 'ك'	אתה 'أته'	ת 'تَ'	ך 'كَ'
المخاطبة	انتِ	تِ	كِ	ܐܢܬܝ 'انتي'	ܬܝ 'تي'	ܟܝ 'كي'	את 'أت'	ת 'تْ'	ך 'كْ'
الغائب	هو		ه	ܗܘ 'هو'		ܗ 'ه'	הוא 'هوا'		הו 'هو'
الغائبة	هي		ها	ܗܝ 'هي'		ܗ 'ه'	היא 'هيا'		ה 'ه'
المتكلمين	نحن	نا	نا	ܚܢܢ 'حنن'	ܢ 'ن'	ܢ 'ن'	אנחנו 'أنحنو'	נו 'نو'	נו 'نو'
المخاطبين	انتم	تم	كم	ܐܢܬܘܢ 'انتون'	ܬܘܢ 'تون'	ܟܘܢ 'كون'	אתם 'أتم'	תם 'تم'	כם 'كم'
المخاطبات	انتنّ	تنّ	كنّ	ܐܢܬܝܢ 'انتين'	ܬܝܢ 'تين'	ܟܝܢ 'كين'	אתן 'أتن'	תן 'تن'	כן 'كن'
الغائبين	هم	وا	هم	ܗܢܘܢ 'هنون'	ܐܢܘܢ 'انون'	ܗܘܢ 'هون'	הם 'هم'	ו 'و'	הם 'هم'
الغائبات	هنّ	ن	هنّ	ܗܢܝܢ 'هنين'	ܐܢܝܢ 'انين'	ܗܝܢ 'هين'	הן 'هن'	ו 'و'	הן 'هن'

تأمل في هذا الجدول ترَ ان الضمائر تتميز بعضها عن بعض بالعدد والجنس والشخص وان تمييز العدد قائم بزيادة ميم للمذكر ونون غالبًا للمؤنث لكنها لا تقع تحت حد مانع اذ انهما تتبادلان في احوال جمه وهي واحدة في السريانية والقياس يقتضي في العبرانية ان تكون الميم للمذكر والنون للمؤنث لكن هذه الاخيرة كثيرًا ما وردت في مكان تلك وكيف كان الحال ليست الاّ مميزًا للعدد لا دخل لها في مادة الضمير اذ انها تستعمل حيثما احتيج للدلالة على الجمع سواء كان في الاسم او الفعل او غيرهما كما مر

واما مميز الجنس ويحصل به التمييز بين المذكر والمؤنث فهو متصور في الغالب على الحركات كما تقدم الشرح ويتضح ذلك جليًا في النعوت التي تؤنث وتذكر فاننا بقولنا 'حسن' و'حسنة' لا نميز بين الجنسين الاّ بالفتح المسنود بالتاء التي تلفظ هاء عند الوقف والارجح ان الاصل في التأنيث في العربية ان يكون بالالف مقصورة او ممدودة كما تعلم والعبرانيون يأتون بالفتح المسنود بالهاء التي تقلب تاء عند التحريك اما في السريانية فتسند هذه الفتحة غالبًا بالالف. هذا ما يقال عن النعوت اما في الاسماء فقد تكون التاء علامة التانيث وقد تكون هذه او تلك تبعًا لمقتضيات العوامل الاّ ان الحركة هي من الفتحة فما دون حتى الكسرة وقد غلبت الكسرة في بعض الضمائر علامة للتانيث وقد اشبعت في بعض الاحوال حتى كتبت ياء كما في 'هي' العربية والسريانية

فتمييز العدد والجنس ليس اصليا في اللغة وقد مرّ في شرح القضية الثانية ما فيه الكفاءة من هذا القبيل واضيف الى ذلك ان العبرانيين كثيرًا ما استعملوا ضمير الغائب المذكر لكلا الجنسين لا سيا في اقدم كتابات القوم. وربما لوحظ هذا الامر في اكثر اللغات اول نشأتها فان القسم الاعظم من لغات البشر لا تميز في ضمائرها بين المذكر والمؤنث الا في ضمير الغائب . لان المتكلم عن شخص

غائب يحتاج لتعيين جنسه اما اذا كان يتكلم عن شخص حاضر فقلما يحتاج الى مثل ذلك واذا تكلم عن نفسه كان في غنى عن تعيين الجنس على الاطلاق

اما تمييزا لشخص فاكثر قدمية في اللغة . وهناك ملاحظة لا بد من ذكرها قبل الشروع في البحث عن ميزات الشخص اعني النون الملحقة في اول الضمائر والظاهر انها عارضة عليها بدليل وجودها في الجميع على السواء . اما مؤداها فيصعب الحكم في شأنه على اني لا ارى مانعاً في كونها تفيد التوكيد او التعريف وربما كانت وأن التوكيدية من اصل واحد فان النون في اللغة المصرية القديمة هي اداة للتعريف والتوكيد معاً كما مرّ بنا

وربما شوهد ان من هذه الضمائر ما هو خالٍ من هذه النون لا سيما المختص منها بالغائب ولا يعتد في ذلك اذ لا يخلو اما انها لم تدخل عليها او انها دخلت وفقدت كما جرى بها في ضمير المخاطب في العبرانية على ان الاصل على ما اظن وجود النون في جميعها كما هو الحال في اللغة المصرية القديمة . اما العربية فقد حفظت النون في جميع الضمائر الا الغائب والسريانية حفظتها كالعربية لكن خطاً لا لفظاً

اما الطائفة الآرية فلا اثر لهذه النون في ضمائرها ولعلها كانت قبلاً وفقدت منها الان تاركة الميم ;m؛ في ضمير المتكلم اثراً يشير الى سابق وجودها والله اعلم

فاذا جردنا الضمائر من ميزات العدد والجنس والنون الزائدة يتضح لدينا ان الاصل المختص بالمتكلم على اطلاقه هو مقطع حلقي محصور بين الياء والكاف فانهُ 'انا' او الياء في العربية والسريانية و'أنكي' تلفظ 'أنخي' في العبرانية و;anok؛ او ;a؛ في المصرية القديمة و'أنكو' او 'يا' او 'أ' في الاشورية و ;ego؛ في اللاتينية و ;ego؛ و ;egon؛ في اليونانية و;aha؛ او ;ahom؛ في السنسكريتية و ;i؛ في الانكليزية و ;ich؛ في الجرمانية فترى انك اذا جردت النون حيثما وجدت يبقى الضمير مقطعاً محصوراً بين الياء والكاف

اما ضمير الرفع المتصل في العربية واخواتها فهو التاء وهذه مبدلة من الكاف وقد اشرت فيما تقدم الى حصول الابدال بين هذين الحرفين نظرًا لتقاربهما في حكاية الصوت ويؤيد ذلك كون هذه التاء لا تزال كافًا في اللغة الاشورية حيث يقال ‹‹سكنك›› بدلًا من ‹‹سكنت››

قد رأيت ان المقطع الحلقي المختص بالمتكلم قد فقد من العربية والسريانية في المفرد لكنهُ لم يزل محفوظًا في الجمع ‹حاه› ففي العربية ‹نحن› وفي السريانية ‹حنن› اما في العبرانية فقد رأيت انهُ حفظ في المفرد والجمع لكنهُ فقد من هذا الاخير في ازمنتها المتأخرة فان ضمير المتكلمين كان في العبرانية في اول ازمانها ‹انحنو› ثم بكثرة الاستعمال اسقطوا لفظ الحاء احيانًا فقالوا ‹انو›

وقد زعم بعضهم ان النون هي الاصل في ضمير المتكلم اعتمادًا على اغلبية وجودها في جمعهِ وقد فاتهم ان هذه انما هي نون الجمع وان وجدت وحدها في بعض الاحوال لان الحاء او ما يقاربها نظرًا لكونها من الاحرف الحلقية كانت سريعة الزوال ومع ذلك فانك تراها ثابتة في الضمائر المنفصلة المختصة بالمتكلم في سائر اللغات الشرقية الاَّ في المفرد من العربية والسريانية وقد بطل استعمالها في سائر الضمائر المتصلة لفظًا وخطًا لكنها قد تظهر خطًا في بعض احوال التصريف في السريانية

اما الداعي لكون ;me اواحد تنوعاتها ضميرًا مفعولًا للمتكلم المفرد في سائر اللغات الآرية فغير معلوم تمامًا وربما كانت هذه الميم مبدلة من النون الزائدة كما سبقت الاشارة اما المقطع الحلقي الذي تقدم كونهُ الاصل المختص في ضمير المتكلم فقد فُقد من هذه الطائفة كما فقد من الجمع في غيرها لكنهُ ترك اثرًا يشير الى سابق وجوده مرافقًا لهذه الميم وذلك في ;mihi في اللاتينية وهي ضمير المتكلم المفرد في حالة الجر تلفظ ‹ميكي›

فينتج مما تقدم ان الاصل في ضمير المتكلم على اطلاقهِ انما هو مقطع حلقي

محصور بين الياء والكاف وانهُ اكثر ظهورًا في المفرد اما في الجمع فالنون اكثر وروداً في اكثر اللغات الشرقية والآرية لكنها ليست من اصل الضمير بل هي نون الجمع كما سبقت الاشارة

اما ضمير المخاطب فاذا جرد من مميز العدد والجنس ومن النون الزائدة ظهر جليا ان الاصل فيهِ مقطع التاء او احد تنوعاتها . واذا أعدتَ النظر الى الجدول ترى ان النون الزائدة في هذا الاصل غير ثابتة في جميع اللغات الشرقية على السواء فانها في 'أنت' مثلاً تكتب وتلفظ في العربية (وهكذا في الكلدانية والمصرية) وتكتب ولا تلفظ في السريانية ولا تكتب ولا تلفظ في العبرانية وبناء عليهِ لا يعتمد عليها متى وجدت فالاعتماد اذن في المخاطب على التاء فهي الاصل في جميع اوجه تصريفهِ ويؤيد ذلك حالتهُ فيما بقي من اللغات فانها التاء او احد تنوعاتها في سائر اللغات الآرية فهي في اللاتينية 'tu' وفي اليونانية 'su' (والسين تبدل تاء وبالعكس كما رايت) وفي الفرنساوية 'tu' واخواتها وفي الانكليزية 'thou' وفي الجرمانية 'tu' او 'du' وفي السنسكريتية 'tua' وفي الفارسية 'تو' . ومثل ذلك فيما بقي من اللغات الشرقية والمصرية ففي الاشورية 'أتا' وفي الكلدانية 'انتَ' وفي المصرية القديمة 'entuk' وفي القبطية 'ntok'

اما الكاف في ضمير النصب المتصل فهي مبدلة من التاء وقد رايت عكس ذلك في تاء المتكلم وزد عليهِ ان الحبشيين والمصريين قد ابدلوا ضمير الرفع المتصل كافًا ايضًا فهم يقولون مثلاً 'قتلكَ' بدلاً من 'قتلتَ'

والخلاصة ان الاصل في ضمير المخاطب التاء فذكّرت وأُنثت وجمعت وتنوعت تبعًا لما اقتضته ظروف الناطقين بها

اما ضمير مطلق الغائب فالاصل فيهِ الهاء كما يظهر من مقابلة اللغات الشرقية ومثل ذلك في اللغات الارية فهو في اليونانية ; i ; وما يركب منها وفي اللغات الجرمانية hua و hu و hue و ho و he و hei وفي الفارسية 'وي'

فبناء عليه يرجح ان مقطع الهاء هو الاصل في جميع تصاريف ضمير الغائب فقد أُنثت بالكسر فصارت 'هي' وجمعت بالميم او النون فصارت هم اوهن الخ. والقضية لا تحتاج لزيادة ايضاح

❋ اسم الاشارة واسم الموصول ❋

اما اسماء الاشارة فمرجعها الى مقطعي 'ها' و 'ذا' ومنها يتركب 'هذا' و'هاته' و 'ذاك' و 'تلك' و'ذينك و 'تينك' وما شاكل (١) . ومنها ايضاً نشأ اسم الموصول فان 'أل' الموصولة والتعريفية من المرجح عندي كونها مأخوذة عن'ها' بدليل كون هذا المقطع هو وحده اداة التعريف في العبرانية . على ان نحويي اللغة العبرانية يقولون بوحدة الاصل في 'أل' المشار اليها في اللغتين العربية والعبرانية وبناء على هذا القول زعموا ان الاصل في الاداة العبرانية 'هل' قياساً على العربية وقالوا ان اللام لا تظهر خطاً وانه يعاض عنها لفظاً بتشديد الحرف الاول من الكلمة الملحقة هي بها فاذا ارادوا تعريف בית 'بيت' مثلاً قالوا הבית 'هبّيت' بالحاق الهاء محركة بالفتح في اوله وتشديد الباء فتعليلاً لمذهبهم يقولون ان اللام تدغم بالحرف الاول ويعاض عنها بالتشديد وعندي انهم اصابوا بوحدة اصلها ولكنهم ربما لم يصح زعمهم بان الاصل في كليها 'هل اوأل 'اذ ان اللام لم تظهر في العبرانية لا لفظاً ولا خطاً الاّ في كلمة واحدة وهي اسم موصول اعني הלזי 'هلّزي' وهذه قليلة الورود جدّاً في كتاباتهم فالارجح عندي انها مأخوذة من العربية اذ انها والاسم الموصول 'الذي' شيء واحد لفظاً ومعنىً اما التشديد المرافق لاداة التعريف في العبرانية فربما قصد به التأكيد او توضيح الاشارة

فبناء عليه يرجح ان الاصل في 'ال' العربية 'ها' التنبيه كما هو الحال في

---

١ يظهر ان كاف الخطاب الملحقة في اواخر هذه الاسماء مأخوذة من ضمير المخاطب ويؤيد ذلك كونها تثني وتجمع مثله فيقال تلك وتلكما وتلكم وذلك وذلكما وذلكم الخ

العبرانية اما اللام فقد دخلت عرضاً لاسناد الحركة واللام كما لا يخفى من الاحرف (ل م ن ر) التي كثيرًا ما تدخل في اللفظ اسنادًا لحركة او مقطع كما مر

ومن الآثار التي تدل على سابق استعمال 'ال' للاشارة قولهم 'اليوم' و'الساعة' و'السنة' بمعنى هذا اليوم وهذه الساعة وهذه السنة . ومن الواضح ان التعريف انما هو ابن الاشارة لان ابسط طريقة لتعريف امر ما نقوم بالاشارة اليه . ويؤيد ذلك ان 'ذا' التي هي اسم اشارة كما لا يخفى قد استعملت ولا تزال تستعمل للتعريف والموصول في قسم عظيم من اللغات الشرقية فان «ذي» في اللغة البابلية و«ذ» او «د» في اللغة السريانية هي الاداة الوحيدة للموصول والتعريف والاشارة ولا ريب ان «د» السريانية هي بقية «ذي» البابلية فلم يستعمل بنو طي «ذو» للموصول عبثاً . وما قولنا «الذي» الآحجة دامغة على ان الموصول انما هو ابن الاشارة

ولنا في الانكليزية ;the: و ;this: و ;that: من اصل واحد الاولى للتعريف والثانية للاشارة والثالثة للاشارة والموصول

قد ثبت مما تقدم ان اسماء الاشارة والموصول هي في الاصل من اصل واحد مؤلف من مقطعين (ها) و(ذا) او الهاء والذال

❋ فهل من علاقة بين هذا الاصل والضمائر ❋

قلنا ان التاء هي الاصل في مطلق المخاطب فنسبتها لذال الاشارة لفظاً لا تحتاج الى دليل لان الدال والذال والتاء والسين والشين كثيرة التبادل بعضها من بعض كما تقدم وهذا التبادل جارٍ معظمه قياسياً في الادغام كما لا يخفى ويظهر باجلى وضوح في اللغات الارية فان الكلمات الوحيدة الاصل المستعملة في لغات مختلفة منها تقوم بتأييد قولنا لاننا نرى ان ;D: في اللاتينية تبدل ;T: في الانكليزية و;z: في الجرمانية نحو ;Decem: عشرة ;Domare:

داجن فانها في الانكليزية tame و ten وفي الجرمانية ;zehn؛ و ;zahm؛ والفرنساويون يكتبون tion ويلفظونها ;sion؛ وعندهم elider و elision من اصل واحد. ومن قواعد اللفظ في اللغة اليونانية ان التاء متى وقعت بعد النون تلفظ دالاً وامثال ذلك كثيرة

فبناء عليهِ لا يكون ثم مانع في وحدة الاصل لفظاً

اما وحدتهُ دلالةً فرجحة عندي اذ ان الدلالة المشتركة بينهما هي الكون المطلق فالظاهر ان هذا هو الاصل في جميع تنوعاتها لانهُ يُدل عليهِ في جميع لغات البشر بالتاء او احد تنوعاتها كما سبقت الاشارة فان هذه التاء تتضمن معنى الكون المطلق في ܐܝܬ ' إيت ' السريانية و ' يش ' العبرانية و ' أيس ' العربية و ;est؛ اللاتينية و ;es؛ اليونانية و ' ايت ' التركية وهذه متى تحركت تقلب دالاً. و tu في المصرية القديمة تستعمل بمعنى ;on؛ في الفرنساوية. ثم ينتقل معناها من الكون المطلق الى ما يقاربهُ اعني ' الذات ' وهي تطلق على كل موجود فتقوم مقام اي نوع من الموجودات حسياً كان او عقلياً وهي ' ذات ' في العربية (وربما كانت مركبة من ذا وإيت) و את ' إِت ' في العبرانية و ܝܬ ' يت ' في السريانية و ' أت ' في الكلدانية و ;idem؛ في اللاتينية و ;autos؛ في اليونانية و ;tes؛ في المصرية القديمة. ثم تدرَّج معناها من الدلالة الذاتية المطلقة الى الاشارة المطلقة وهذه في العربية ' ذا ' وفي العبرانية זה ' زه ' وفي السريانية ' دا ' وفي الاشورية ' سو ' وفي اللاتينية ;is؛ وفي اليونانية ;De؛ او ;ide؛ وفي الفرنساوية ;ce؛ وفي الانكليزية ;this او that؛ وفي النبطية ;te؛ وفي المصرية القديمة ;tai؛ . ومن الاشارة المطلقة نشأت الاشارة الى كل مسمى واداتها في العربية ' شي ' وفي الفرنساوية ;chose؛ وفي الانكليزية ;thing؛ وقد حصل اثناء هذا الانتقال المعنوي تنوعات لفظية فخصصوا بعضها للدلالة على القسم الاهم والاعظم بين الموجودات اعني الانسان فهو يدعى في العربية ' انس '

وفي العبرانية 'ايش' وفي السريانيـــة 'نش' وفي المصرية القديمة؛se؛ وخصصوا البعض الآخر للدلالة الاشارية للمخاطب فقط فوصلت الينا على هيئة ضمائر وقد تكلمنا عنها بالكفاءة .وقد تنوّع من اسماء الاشارة الموصولات واحرف الاضافة فالاولى قد تكلمنا عنها ما يكفي اما الثانية فلها في العربية 'ذو' ومشتقاتها وفي العبرانية 'ايش' وفي السريانية 'د' وفي بعض اللغات الآرية De؛ وتنوعاتها

فبناء على كون ضمير المخاطب واسماء الاشارة والموصولات في جميعًا الالفاظ مطلقة مشتركة الدلالة وكونها قابلة التعويض بعضها عن بعض في اللغة الواحدة وكونها متقاربة لفظًا في سائر لغات البشر ارجح كونها في الاصل لفظة واحدة بمقطع واحد ونظرًا لكون التقارب اللفظي بحصرها في الاحرف السنانية ارجح ان ذلك الاصل هو التاء متحركةً وان الاصل في دلالتها الكون المطلق وان منها تولدت جميع هذه المتنوعات لفظًا ومعنىً تبعًا لناموس الارتقاء العام

وقد اخترت التاء من بين اخواتها لانها الاسهل لفظًا ولا يصعب على ناطقٍ التلفظ بها وقد تقدم انها موجودة في سائر لغات البشر وعليهِ يُظن ان المقطع الاول الذي يتلفظ بهِ الاطفال انما هو هذا ومما يرجح هذا الظن ان 'تت' في اللغة المصرية القديمة تفيد قولنا تكلّم

اما اسم الاشارة 'ها' فبينهُ وبين ضمير مطلق الغائب نسبة شديدة اما لفظًا فلأن الاصل في كليهما الهاء كما علمت واما دلالةً فلأنّا نقصد بكلٍّ منهما ما ليس بالمتكلم ولا بالمخاطب ولم تزل اسماء الاشارة في كثيرٍ من اللغات تستعمل حيثما تستعمل نحن ضمير الغائب ولا ارى لزومًا لتعداد البراهين على صحة ذلك ،

وهناك امر اخر لا يخلو ذكره من فائدة وهو ان بين كاف المتكلم وتاء المخاطب وهاء الغائب نسبة قريبة لفظية ومعنوية كما لا يخفى

وجملة القول يرجح كل الترجيح ان الالفاظ المطلقة مهما تعددت اشكالها

ودلالاتها لا تخرج عن كونها ناشئة من لفظ واحد او بضعة الفاظ من ضمنها التاء والله اعلم

القضية الخامسة

ان ما يستعمل للدلالة المعنوية من الالفاظ وضع اصلاً للدلالة الحسية ثم حمل على المجاز لتشابهٍ في الصور الذهنية

معلوم ان في اللغة قسماً عظيماً من الفاظها ولا سيما الافعال مما يستعمل للدلالة الحسية والمعنوية على السواء فبقولنا «فَصَلَ» ربما نقصد الدلالة الحسية نحو «فصل زيدٌ الشيء» اي قطعه وابانه. او المعنوية نحو «فصل الحكم الخصومات» او «فَصَلَ المولود عن الرضاع» اي فطمه. فلا يخلو ان تكون احدى هاتين الدلالتين اصلية حقيقية والاخرى فرعية مجازية. وعندي ان الدلالة الحسية هي الاصل والمعنوية الفرع حُملت مجازًا لتشابه في الصور الذهنية بدليل ان المحسوسات هي اول ما تستلفت انتباه الانسان وهي سابقة في ذهنهِ على المعنويات لانهُ في ابسط احوال عيشهِ لم يكن في احتياج الاَّ للمعاني الحسية واظن انه في اول استعمالهِ «قطعَ» لم يكن يقصد بها الاَّ القطع الحسي لكنهُ بعد ان ارتقى في الحضارة وارتقت تصوراتهُ حدثت لهُ معانٍ جديدة بينها وبين القطع مشابهة

ذهنية كقولنا « قطع في الامر » اي جزم « وقطع الحوض » اي ملأه الى نصفهِ ثم قطع الماء فحملها عليها مجازًا . ويؤيد ذلك حالة اللغات الدنيا فانها تقل فيها الدلالة المعنوية كلما انحطت الى ان تصل الى ما يكاد يخلو منها اطلاقًا . ولا يخفى ان هذا التحويل جارٍ في لغتنا الان ولن يزال الى ما شاء الله . فمن الالفاظ ما قد خسر الدلالة الحسية بالكلية نحو قولنا «قضى» بمعنى حكم والاصل فيها القطع الحسي وهي من سلسلة « قض » كما رأيت ومنها ما لم يزل يستعمل لكليهما نحو « عقلَ » بمعنى فهم مأخوذة من عَقلَ الناقة اي ربطها و« ادرك» الاصل فيها البلوغ الحسي فيقال ادرك فلان الفرس اي لحقها و« بلغ» وضعت اصلاً للدلالة على الوصول الحسي فقط كقولهم « بلغَ فلان المحلة » اي وصلها وقد استعملت كما استعملت « أدرك » . والاصل في معنى الفصاحة قولهم « فصحَ اللبن » اذا ذهبت رغوتهُ ثم قيل فصحَ . واصل «الرأي » من رأى وهكذا الرؤية . وكذلك الحال في « عرف » فان اصلها من « العرف » اي الرائحة . ومنها ما هو في اول انتقالهِ نحو « قطعَ » و« ملأ » والاصل في هذه الاخيرة الملأ الحسي كالماء وما شاكل وقد استعملت مجازًا فيقال «ملأ فلانًا على الامر» اي ساعدهُ وشايعهُ و« هلك» بمعنى مات وفُقِد والاصل في معناها الذهاب وهي كذلك في سائر اللغات الشرقية و « الشتاء »ماخوذ من« شتا » في السريانية اي شرب فاستُعملت اولاً لريّ الارض بالمطر ثم اطلقت على المطر عينهِ ومنهُ تحوّل معناها الى الفصل الذي يحصل فيهِ المطر . و« غَرُبَ » الاصل في دلالتها النزول لانها في الاشورية «عرب » ومعناها نزل ومنها غربت الشمس اي نزلت

وقد تتنوع دلالات الالفاظ على طرق مختلفة انقيادًا لتصورات الناطقين بها وتنوعها فاذا اختلف رأيهم في شانٍ فذهبوا فيهِ الى خلاف ما ذهب سلفاؤهم يحتاجون للتعبير عن هذه التصورات الحديثة الى الفاظٍ حديثة فهم في مثل هذه

الظروف يأخذون من الالفاظ ما يقرب دلالةً مما يحتاجون اليه فتبقى هذه الالفاظ اثرًا يشير الى ما كان عليه سلفاؤنا من الآراء الامر الذي ربما لا يتيسر للتاريخ الاتيان به كقولنا «شهر» التي يستعملها كلٌّ منا باجلى وضوح ولا يخشى وقوع الالتباس حتى ان ابسط العامة لا يخطئون فهمها . على انا اذا بحثنا عن اصلها نرى انها كانت تدل في الاصل على «قمر» اذ انها في السريانية «سهر» بالسين بمعنى قمر اما في العبرانية فتستعمل لما نعبر عنه بقولنا «مستدير» وقد وردت في التوراة مرة على صيغة الجمع بمعنى اقمار صغيرة او اكاليل. وجملة القول يستدل مما تقدم ان اسلافنا الاولين كانوا يعتمدون على الاشهر القمرية في حساباتهم فدعوا الشهر القمري باسم القمر ثم لما تقدموا ووضعوا الاشهر الشمسية استعاروا لها ما كانوا يستعملونه للاشهر القمرية . وترانا الان لا نعلم عن لفظة «شهر» الا انها وضعت للدلالة على جزء من اثني عشر من السنة الشمسية

وخلاصة القول يكاد لا يوجد كلمة واحدة الأ واستعملت للدلالة المعنوية وذلك دليل كافٍ على ان قابلية المعاني للانتقال هي كقابلية الالفاظ للابدال

النتيجة

ان لغتنا مؤلفة اصلاً من اصول محصورة عداً احادية المقطع معظمها مأخوذ عن محاكاة الاصوات الخارجية وبعضها عن الاصوات الطبيعية التي ينطق بها الانسان غريزياً

بناء على ما تقدم برهانه من ان الالفاظ المتقاربة لفظاً ومعنىً هي تنوعات اصل واحد وان الالفاظ المائعة الدالة على معنىً في غيرها انما هي بقايا الفاظ ذات معنىً في نفسها . وان الالفاظ المائعة الدالة على معنى في نفسها يرد معظمها بالاستقراء الى اصول ثنائية تحاكي اصواتاً طبيعية وان الالفاظ المطلقة قابلة الرد بالاستقراء الى لفظ واحد او بضعة الفاظ وان ما يستعمل للدلالة المعنوية من الالفاظ وضع اصلاً للدلالة الحسية ثم حمل على المجاز لتشابه في الصور الذهنية ارجح كل الترجيح « ان لغتنا مؤلفة اصلاً من اصول قليلة احادية المقطع معظمها ماخود عن محاكاة الاصوات الخارجية وبعضها عن الاصوات الطبيعية التي ينطق بها الانسان غريزياً » وانها من هذه الاصول نشأت ونمت حتى بلغت ما هي عليه الان بتركبها وتنوعها بين نحتٍ وإبدال وقلبٍ واستعارة كل ذلك سداً لاحتياجات الانسان وجرياً على ناموس الارتقاء العام وإيضاحاً للموضوع آتي المسالة عن طريق الاستقراء المنعكس فاقول

هل اللغة ضرورية توقيفية ام هي مكتسبة اصطلاحية

كونها ضرورية يقتضي كونها حاصلة بلا اكتساب ونظر وكونها توقيفية يقتضي كونها ثابتة البناء والدلالة غير قابلة التغير والانفعال شان كلما هو توقيف منه تعالى

والواقع على خلاف فاننا لا ننطق الا بما نسمعهُ من الذين حولنا ونحن لا نتكلم بالعربية الاّ لاننا نشأْنا بين قوم يتكلمونها . ولو حدث ان ربينا بين اليونانيين لكانت اليونانية لغتنا او بين الهنود فالهندية . ومن الجهة الاخرى لو قُدّر لنا النشوء بين الحيوانات العجم لكنّا عجماً . واللغة كما هو معلوم عرضة للتغيير والانفعال نحتًا وابدالاً وقلبًا واستعارةً فما نتفاهم بهِ الان يختلف دلالةً ولفظًا عما تفاهم بهِ سلفاؤنا وما سيتفاهم بهِ خلفاؤنا . وقد حدث من اللغات ما لم يكن في سالف الزمن كاللغات المتفرعة من اللاتينية والسنسكريتية فلو كانت اللغة توقيفية لاقتضى بقاؤُها على ما هي . ولا يقال ان هذه الفروع حدثت توقيفًا لانها قابلة الرد بالاستقراء تاريخيًا الى اول ازمنة نشوءها او بالحري تفرعها وكل ذلك جرى بموجب نواميس عامة قابضة على زمام كل ما حولنا من النظام والحياة واعمالها

وجملة القول ان اللغة مكتسبة اصطلاحية والقضية واضحة جلية ولزيادة الايضاح اذكر ما قالهُ العلامة ابن خلدون اثناء كلامهِ في تفسير الذوق قال « فان الملكات اذا استقرّت ورسخت في محالها ظهرت كانها طبيعة وجبلة لذلك المحل ولذلك يظن كثير من المغفلين ممن لم يعرف شان الملكات ان الصواب للعرب في لغتهم اعرابًا وبلاغةً امر طبيعي ويقول كانت العرب تنطق بالطبع وليس كذلك وانما هي ملكة لسانية في نظم الكلام تمكنت ورسخت فظهرت في بادىء الرأي انها جبلة وطبع . وهذه الملكة كما تقدم انما تحصل بممارسة كلام

العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص تراكيبه»

وقال الاستاذ ابو اسحق الاسفرائني اثناء كلامه في اصل اللغة «ان ابتداء اللغة وقع بالاصطلاح وانتمة من الله» وقال السيوطي «ودليل امكان الاصطلاح ان يتولى واحد او جمع وضع الالفاظ لمعان ثم يفهموها لغيرهم بالاشارة كحال الوالدات مع اطفالهن»

الطريقة الطبيعية للتكلم

التفاهم

وجد الانسان ممتازًا عن سائر الحيوانات بكونه ارقاها عقلاً واشدّها تعرّضًا للمؤثرات الخارجية فنتج ان كثرت احتياجاته فعكف بغية سدّها على المعاضد والتعاون فحصل الاجتماع الانساني. والتفاهم من اقوى دعائم الاجتماع اذ لا يقوم بدونه

والتفاهم او تبادل الافكار والمقاصد يحصل اما بالاشارات واما بالاصوات او بهما معًا

كيف يحصل التفاهم بالاشارات

الاشارات اما اضطرارية او اختيارية والاولى يشترك في معظمها سائر انواع الحيوان وهي مقصورة على التعبير عن الانفعالات النفسانية ولا تتعداها كتقطب الوجه دلالة على الغضب والحزن وانبساطه على الانبساط . والابتسام على

الفرح والسرور. وهزّ الرأس على التهدد او التعجب وانحنائهِ على الذل. والنهوض بغتةً على تأثيرٍ شديدٍ كفرح او غضب مفرط ومن هذا النوع ما حكي عن خطيب انكلترا المستر غلادستون انهُ نظرًا لشدة تأثير عباراتهِ بالحضور كان يقف كثيرون منهم وهم لا يدرون انهم وقفوا. وكثيرًا ما يسبب الفرح المفرط كثرة الحركات كالجمز او الركض او الرقص او ما شاكل وقد يصفق الانسان عند تأثيرٍ نفساني مكدر كبيرٍ بغتي كحزن او الانتباه بغتةً الى خسارة كان يمكن تجنب حدوثها. وكالعض على الاصابع عند الندم وكاحمرار الوجهِ خجلاً واصفرارهِ وجلاً. وكالارتجاف خوفًا ورعبًا الى غير ذلك من الاشارات التي يجريها الانسان عن غير علم منهُ ولا سلطة لهُ عليها اذا اراد الخلاف ومعظمها كما سبقت الاشارة مشترك بين سائر انواع الحيوان لكنها تختلف درجةً ووضوحًا باختلاف النوع

اما الاشارات الاختيارية وهي في الغالب تقليدية يقصد بها التعبير عما في الضمير من المقاصد قلتُ تقليدية لانها حاصلة من تقليد الانسان بعض خصائص الاجسام الخارجية او بعض صفاتها ومن هذه الاشارات ما يستعمل للدلالة المعنوية وقد وضع اصلاً للدلالة الحسية لتشابهٍ في الصور الذهنية كما سترى

ولغة الاشارات الاختيارية عامة بين البشر ومفهومة عند كل طائفة منهم . الا انها لا يستعملها الاَّ من كان لعلة طبيعية لا يستطيع التكلم او غريب اللغة جاهلها . فكثيرون من الجائلين بين القبائل المتوحشة لتجارةٍ اوسياحة يعتنون باتقان هذه اللغة تحفظًا من الاضطرار للتكلم مع من لا يعرفون لغتهم من اولئك القوم كاستفهامٍ عن امر او اقتراح في شأنٍ .

وهذه الاشارات اما ان تدل على ما يقصد بها دلالة ذاتية او معنوية فالاولى كعادة الخرس في التعبير عن شيءٍ من الاشباح الحسية فانهُ يرسمهُ بجميع حدوده طولاً وعرضًا وعمقًا وشكلاً كما لو اراد التعبير عما نعبر عنهُ بقولنا

« صندوق » فانهُ يحاول اولاً رسم حدوده بين طولٍ وعرضٍ وعمقٍ ثم يشير بيدهِ كانهُ يحاول فتحهُ وفي الحال يخطر لك انهُ يقصد الصندوق وهكذا لو اراد التعبير عن فرس او كلب او رجلٍ او امرأةٍ او ما شاكل

اما الاشارات المعنوية وهي الاكثر ورودًا فهي التي يُقصد بها تقليد صفة او حادثة ملازمة لما يراد التعبير عنهُ كما لو اطبق الاخرس اصابع احدى يديهِ الا الابهام ثم رفعها نحو فيهِ كانهُ يسكب منها شيئًا سائلاً فاننا نفهم انهُ انما يقصد "الماء" او ما نعبر عنهُ بقولنا "عطشان" اما التمييز بين هذين المعنيين فموكول بالقرينة — فترى هذه اللغة الاشارية الطبيعية في اول امرها مقصورةً على تقليد اشكال الاجسام الخارجية او وصف حادثة او اكثر من ملازماتها واذا ارادوا التعبير عن بعض الانفعالات تراهم يتقلدون الاشارات الاضطرارية المتقدم ذكرها فيقطبون وجوههم كانهم يريدون ما نعبر عنهُ بقولنا "قد ساءني ذلك" او يبسطونهُ محاولين الابتسام قاصدين ما هو في لغتنا "قد سرني هذا" وتختلف مدلولات هذه الاشارات باختلاف الظروف والقرائن

وجملة القول ان اللغة الاشارية متى كانت هذه حالتها تكون في ابسط احوالها اي ان بعضها تقليد ظواهر الاجسام او ملازماتها والبعض الآخر تقليد ظواهر الانفعالات . وهي ما دامها على هذه الحالة يفهمها كل انسان . لكنها قد ترتقي بين قومٍ الى درجة يرافقها اصطلاحات واختصارات لا يتيسر لغيرهم فهمها الا بعد تعلمها كما يتعلم الناطقون لغات بعضهم وقد يحصل تنوع في الاشارة او في دلالتها على كيفية تقابل النحت والابدال والاستعارة في لغاتنا . من ذلك ما يستعملهُ خرس برلين فانهم بمحاولة كسر الراس باليد يقصدون ما هو في لغتنا "رجل فرنساوي" وصغارهم يستعملون هذه الاشارة لهذا المعنى وهم لا يعلمون الا كونها كذا خلقت لكنهُ قد ظهر بعد البحث كونها مأخوذة عن محاكاة حادثة موت لويس السادس عشر فالخرس قرأوا في كتبهم انهُ مات مضروبًا

على راسو فاستعملوا في بادئ الامر اشارة الضرب على الراس كمحاولة كسره الدلالة عليه ومن ثم حملوها مجازًا على كل فرنساوي . وبعض قاطني اميركا الشمالية يعبرون عن قولنا "كلب" بجرّ السبابة والوسطى منتوحتين على الارض وباقي الاصابع مقبوضة والناظر لا يرى علاقة بين هذه الاشارة والمعنى المقصود لكنهُ بعد البحث يرى انها مأخوذة عن حوادث جرت يوم كان الهنود هناك وقلّت خيلهم فاضطرهم الحال لاستخدام كلابهم لحمل عواميد الخيم فكانوا يحمّلون كلاًّ منها عامودين واحداً من كل جانب فيمشي الكلب والعامودان ينسحبان خلفهُ فقلد الخرس هذه الحالة بجر السبابة والوسطى منتوحتين على الارض وما بقي من الاصابع فمقبوض وعبّروا بها عن كلابهم . ولم يراجع الهنود هذه الاعمال من ذلك الحين اما هذه الاشارة فلم تزل مستعملة عندهم الى الان للدلالة على اي كلب كان . وهكذا في كثير من اشاراتهم بحيث تنوعت هذه اللغات وحدثت بينها اختلافات لا تقلّ عما في اللغات الشرقية . ولم تكن الاصطلاحات السبب الوحيد في ذلك بل هناك امر لا يقلّ اهميةً عنهُ اعني الخلاف الاتفاقي في اختيار هذه الصفة من المعنى المقصود او تلك اذ قد تقدم انهم يعبرون عن اي معنى بتقليد صفة من صفاتهِ او تشخيص حادثة رافقتهُ اول عهدهم اياه فقد تختار هذه القبيلة صفة وتلك صفة اخرى وقد يتأتى ان هذه تصور معنى مصحوبًا بحادثة لم تخطر على بال تلك . فان هنود اميركا الجنوبية يعبرون عن الماء بقبض يدهم وكبها نحو الارض كانهم يسكبون ماء خلافًا للخرسنا الذين يقبضونها الاّ الابهام ويديرونها نحو الفم كانهم يحاولون الشرب

ويعبّر عن الضمائر وادوات العطف والجر وما يشبهها وعن حركات الاعراب بتقديم او تاخير بعض الاشارات او غير ذلك من الطرق التي لا تقع تحت الحصر

التفاهم بالاصوات

والاصوات ايضاً اما اضطرارية او اختيارية والاولى يقصد بها التعبير عن الانفعالات النفسانية كالاشارات الاضطرارية المتقدم ذكرها وهي اما «غتمية» كالاصوات التي يخرجها الانسان لغير قصد عند بعض الانفعال «كالانين والعنين والاحيح» وهي اصوات المتوجعين والمغمومين و«الهنهة» اي الصوت الحاصل من تردد الزفير من الم والحزن و«الزحير» او اخراج النفس بشدة عند عمل شاق و«النحيم» او النهيم شبه انين يخرجه العامل المكدود فيستريح اليه. وقد تفعل الارادة على هذه الاصوات فتحدث فيها تفننًا يختلف بين رفع وخفض وتطويل و تقصير كمقتضى ما في الضمير وهي كالاشارات الاضطرارية مشتركة بين سائر انواع الحيوان

(جميع ما مر من انواع التفاهم قلما يعتد به وهو قليل الورود بين البشر اذ ان جميع اللغات الحالية مؤلفة من اصوات مفصحة واضحة و بعبارة اخرى مؤلفة من مقاطع بينة)

واما «مفصحة» ومنها قولنا «آه» للتعجب او التهدد او التحسر و«أوه» للتوجع و«أُف» للاستكراه والضجر و«آخ» للتوجع و«بَخ» للانبساط و«أُفّ» للغضب والتألم و«بَش» للاستحسان «شه» لعدم الاستحسان و«وَي» وقد مر ذكرها و«قهقه» صوت الضاحك الى غير ذلك وكل منا يخرج هذه الاصوات وامثالها عند الانفعال ولا يدري انه فعل لان من طبعه اخراجها خارجة عن سلطة الارادة كما هو معلوم. فان قيل اين هذه الاصوات من الكلمات المقطعية اننا لا نراها الا اصواتًا طبيعية لا دخل لها في تكوين اللغة اقول ان الانسان عند ما لم يكن لديه من الالفاظ الا القليل ارتأى استعمال كل منها لمعانٍ كثيرة يلمح فيها

المعنى الاصلي وركب منها في بعض الاحوال الفاظاً اخرى لمعانٍ اخرى كل ذلك اجراه وهو لا يعلم انهُ فعل فقد شقّ من 'آه' المتقدم ذكرها فعلاً فقال 'آهَ يأْوهُ أوهًا' اي شكا وتوجع وهكذا 'تأوّه تأوّهًا' وقد دعوا داء الحصبة 'آهَة' والجدري 'ماهَة' وكل ذلك لتناسب في المعنى واللفظ وهذه التسمية تذكرنا بلغة الاشارات حيث يعبرون عن المعنى بتقليد صفة من صفاته او تشخيص حادثة ملازمة له فانهم في تسميتهم الحصبة 'آهة' كانهم يشخصون ما يرافق ذلك الداء اعني تاوُّه المريض وقد شقوا من 'أوف' ايضاً قولهم 'أفَّ يؤفُّ أفًّا' تضجر ورجل '' افاف' اي كثير الضجر و'أفف' بمعنى أفّ وقد شقوا منها اسماء فدعوا قلامة الاظافر 'أُفًّا' وكذلك وسخ الاذن وما رفعتهُ عن الارض من عودٍ او قصبة ومنها ايضاً 'الافة' بمعنى الجبان والمعدم والمقلّ والرجل القذر ولا يخفى ان سائر هذه المعاني انما هي تنوعات المعنى الاصلي الذي هو الضجر والاستكراه وفي اللغة المصرية القديمة امثال كثيرة كهذه منها قولهم 'حو' بمعنى ضرَبَ وهي صوت المضروب عند التألم وقولهم 'آ' لما هو في لغتنا عظيم او كثير وقد تاتي ظرفاً بمعنى 'جدًّا' و«حُوو» عريان وهي صوت المنفعل من البرد عرياناً

الاصوات الاختيارية

ويقصد بها التعبير عما في الضمير وهي في اول امرها تقليدية كالاشارات الاختيارية فتُقلد بها بعض الاصوات الجارية في الطبيعة للدلالة على معانٍ بينها وبين هذه الاصوات علاقة اما سببية كالدلالة على السنور بقولنا 'مياو' او استنتاجية كقولنا 'تفهَ' بمعنى خسّ ومنها يتألف معظم اللغة ولا يخفى ما بينها وبين الاشارات الاختيارية من المشابهة

وهي اما ان تؤخذ عن اصوات البشر كقولنا 'تف' وهي حكاية صوت الباصق وقد شقوا منها 'تفلَ' اي بصق ولما كان الانسان يبصق احياناً استخفافاً بالامر شقوا منهُ فعلاً فقالوا 'تفهَ' خسّ او قلّ ولما كان التفُّ احياناً يحدث

عن استكراه بعض الاطعمة استعملوا منهُ ' القفادة ' في الطعام اي عدم الطعم فيقال ' طعام تفه ' اي لاطعم له واذ كان التف مستعملاً عند الغضب او الحدة شقوا منهُ ' تفٍ ' اي احتد او غضب واذ كان يُسمع عند محاولة اطفاء اللهيب استعملوا لنوعه ' طفي ' بمعنى خمد وربما شقوا منهُ افعالاً واسماء لم تعد تميز الآن لكثرة تنوعها . والظاهر ان الفاء في الصوت المختص بالنفخ ونحن عند النفخ نخرج صوتاً هذه حكايتهُ ' أُوف ' فتركب منها (ربما بالنحت) في العربية ' نفخ ' وفي الانكليزية puff وفي الفرنساوية 'souffler' او ' enfler ' او ' Gonfler ' وقس عليهِ بعض القبائل العريقة بالتوحش يعبرون عن النار بقولهم ' أفي ' حكاية صوت نفخها وكان المصريون يعبرون عن النار بقولهم ' هه ' وهي حكاية صوت الزفير الاغتصابي كأنهم قصدوا بهِ اخراج النفس حارًا من الصدر ليعبروا بهِ عن النار وعندهم « خ » لما هو عندنا « بلعوم » فكأن الاصل فيهِ اخراج الصوت بعنف من موخر الحلق ليتنبه السامع الى ان المتكلم يقصد البلعوم المجاور لتلك الجهة وربما استعمل هذا الصوت في بادئ الامر مصحوبًا باشارةٍ استلفاتًا للذهن وبعد ذلك استغني عن الاشارة . وعند العبرانيين « آف » بمعنى أنف وهي حكاية صوت الزفير اذا خرج عن طريق الانف ولما كان هذا الزفير الانفي يحصل غالبًا عند الغضب الشديد استعملوا « آف » بمعنى غضب او سخط . وبعد استعمالها للدلالة على الانف بقليل اطلقوها على جميع الوجه . ثم ركبوها مع ادوات اخرى فصاغوا منها ظروفًا كقولهم « لأ في » امام او تجاه ولا يخفى ان « آف » و « أنف » من اصل واحد والنون دخيلة في العربية على ما ارى

او عن الاصوات الخارجية وهذه اما اصوات حية او غير حية فالحية هي التي تخرجها الحيوانات في احوالها الاعتيادية وقد اشتقت منها اسماؤُها لان الانسان اول عهده بالحيوانات ولم يكن عنده ما يعرّفها بهِ لم يخطر له تسميتها الا بما يسمعهُ من

اصواتها ويظهر ذلك جليًا في اللغات الدنيا اما في لغتنا فقد اصبحت لا تتميز المسميات الاصلية الا فيما ندر كقولنا 'قاق' للغراب مأخوذة من حكاية صوته 'غاق غاق' و'هر' للسنور وهذه حكاية صوت همهته المعهودة و'قرقة' للدجاجة الحاضنة ماخوذة عن صوتها. ويتضح الامر من مقابلة اللغات الاخرى فان الحمار في اللغة المصرية القديمة والقبطية يدعى 'إيو' وهو صوت نهيقه والسنور في الصينية والمصرية 'ماو' والقرد في اللغة المصرية 'عا آني' ماخوذ عن صوته والثور فيها 'آح' والكبش 'با' وربما بعدت هذه التسميات عن صوت مسمياتها قليلاً لكن الامعان يزيل الريب

اما اسماء اصوات الحيوانات فقد حفظتها لغتنا فيقال 'ماء السنور' و'عوى الكلب' وهي حكاية صوته عند النباح ومثل ذلك 'الصرصرة' للبازي و'القعقعة' للصقر و'البطبطة' البط و'الوعوعة' للذئب و'الوقوقة' او القنقنة صوت الكلب اذا خاف و'القطقطة' صوت القطا فانه يحاكي قولها 'قطاقطا' وهكذا 'فحيح' الحية بفيها 'وكشيشها' بجلدها والنقيق للضفدع وقال بعضهم ان 'الحترشة' محاكاة صوت الجراد عند اكله. ولا يخفى ان هذه المحاكاة لا تقف عند حدّ بل يُشق منها اسماء وافعال ذات معنى تقرب منها كما رايت في 'تف' وكما ترى في 'النبيب' صوت التيس عند السفاد والاصل في صوته يحكي 'نبْ نبْ' فتصوروا فيه معنى البروز والحفر وشقوا منه عن غير قصد سلسلة اصول لمعان حسية ومعنوية منها نبَّ ونبتَ ونبثَ بمعنى حفرَ وكذلك نبشَ ونبعَ ونبذَ ونبرَ ونبض ونبغَ ونبقَ ونبهَ ونبا وتتعدد هذه التنوعات عندما تتذكر فعل القلب والابدال عليها ولا يخفى ان جميع هذه التنوعات تتضمن المعنى الاصلي الذي هو البروز والحفر ومن هذه المشتقات ما تصرفوا في استعماله فاستعاروه ونوعوه تبعًا لما اقتضته الظروف

اما الاصوات الغير الحية وهي المسموعة من الحوادث الجمادية فكثيرة العدد

عظيمة الاهمية منها ' دق ' حكاية صوت الحجارة اذا قرعت بعضها على بعض و' قط ' حكاية صوت القطع و' قعقعة ' الرحى و' جعجعتها ' و' طن ' او ' دن ' حكاية صوت الجرس اذا قرع و' رش ' او ' دش ' حكاية صوت الماء اذا رُش و' فش ' حكاية صوت السهم اذا اطلق و' فق ' حكاية صوت القربة او ما شاكلها اذا فتحت بغتة و' لط ' حكاية صوت اللطم . وقد دعى المصريون القدماء مركبتهم ' اوررت ' وهو حكاية صوت جريها

فمن الاصوات الاضطرارية والاختيارية تتألف اللغة الطبيعية الصوتية وهي في هذه الحالة بسيطة البناء للغاية قليلة الالفاظ يمكن حصول التفاهم بها بين كل البشر كما هو الحال في اللغة الطبيعية الاشارية غير اننا لا نعلم بوجود لغة ما على هذه الحالة تماماً وان يكن بعضها اقرب من البعض الآخر اليها فاللغة لا تلبث ان تصير صالحة للتفاهم حتى تتشعب وتتولد اللهجات والتنوعات . وادنى ما يعرف منها الآن لغات بعض قاطني اوستراليا واواسط اميركا الجنوبية الذين نظراً لقلة مواد لغتهم لا تفي بالتعبير عن كلما يحتاجونه على قلة احتياجاتهم فيضطرون لاستعمال الاشارات فتراهم اذا تكلموا يصوتون ويشيرون بايديهم وارجلهم واعينهم . والاشارات قسم مهم من لغتهم لا يمكنهم الاستغناء عنها بدليل كونهم لا يستطيعون التفاهم ليلاً . ومما يفيد ذكره ان الفاظ لغتهم هي اقرب للاصوات الطبيعية من الفاظ لغاتنا

ومن قاطني اوستراليا ايضاً من لا تسعفهم لغتهم في التعبير عما وراء الاثنين من الاعداد بالنظر واحداذ ليس لديهم من الالفاظ العددية الا كلمتان فقط وهما ' تتات ' واحد و' نايس ' اثنين فاذا ارادوا ثلاثة جمعوهما معاً وقالوا ' نايس تتات ' او اربعة « نايس نايس » او خمسة « نايس نايس تتات » او ستة « نايس نايس نايس » اما السبعة وما وراءها فيقفون عندها منذهلين وتضيق دونهم سبل التصور فيعبرون عنها بقولهم « كثير » ومنهم من يعبرون عن كل

تنوعات معنى القطع بكلمة واحدة · ومما يفيد في الاطلاع على كيفية تحول معاني الكلمات ما يعبر عنه بعضهم ما هو من الغرابة بمكان فان منهم من ليس في لغتهم لفظة تؤدي معنى الصلابة فاذا اضطروا للتعبير عن قولنا «صلب» يقولون «حجر» وآخرون لا يقدرون على تأدية معنى الطول او الاستدارة فيعبرون عن قولنا «طويل» بقولهم «ساق» و «مستدير» بقولهم «مثل القمر» . ولا يخفى ان هذه الكلمات في غاية المناسبة لما وضعت له لان الحجر هو الجسم الاكثر شيوعاً بصفة الصلابة والساق اول ما يخطر للانسان تصور الطول فيها كما هو معلوم . وهذه اللغات في اول امرها خالية من الادوات «الالفاظ الدالة على معنى في غيرها» اذ يعوض عنها في باديء الامر بالاشارات ثم يستعار لها الفاظ ذات معنى في نفسها

هذه ابسط حالات اللغات المعروفة ثم تتبع اللغة ظروف المتكلمين بها فان ارتقوا ارتقت اعني متى تجددت لديهم افكار يحتاجون لالفاظ جديدة فيتصرفون بما عندهم على طرق مختلفة قد مرت الاشارة اليها

ومن هذه الحالة تنتقل اللغة الى حالة تستغني فيها عن الاشارات لكنها تبقى في الغالب بسيطة البناء خالية من الادوات وربما كانت احادية المقطع كاللغة الصينية التي من الامور الغريبة بقاؤها على هذه الحالة مع انها من اقدم اللغات المعروفة . ويلوح لي ان المساعد في ذلك كونها ضبطت ودُونت قبل سائر اللغات اعني قبل ان فعلت عليها الظروف المهذبة فان فيلسوفها الشهير كونفوشيوس ظهر قبل المسيح بنحو ٥٥٠ سنة وقد كتب فيها كتابات عديدة يعتبرها الصينيون مقدسة وقد حفظوها حتى اليوم كما كُتبت وجعلوها اساساً لكل كتاباتهم لفظاً ومعنى كما هو شأننا في القرآن الشريف وشأن العبرانيين في التوراة اعني لو ترك الصينيون وشأنهم يتكلمون ويكتبون بلا ضابط تبعاً لما تقتضيه احتياجاتهم وظروف عيشهم لما كان ثم مانع من صيرورتها كاخواتها في التهذيب

على حين انها تُعدّ الان بين اللغات الدنيا غير المتصرفة مع ان الناطقين بها اول امة خطت نحو التمدن والعمران

فاللغة في هذه الحالة عرضة للالتباس والابهام نظرًا لخلوها من الاشتقاقات الفعلية والاسمية ومن مميزات العدد والجنس والحال ولافتقارها الى الادوات الرابطة للمعاني فالصينيون يقولون «كو تشي شي جن سي» ومفادها حرفيًا «كلب خنزير اكل رجل طعام» وهم يقصدون بها ان الكلاب والخنازير تاكل طعام الرجال. فترى ان لا سبيل لديهم لتمييز احوال الاعراب الا بتقديم العوامل وتأخيرها

ثم تخطو اللغة خطوة اخرى ذات شان اعني بها استعمال بعض الافعال والاسماء في مكان الادوات وقد تقدم بعض الامثلة من هذا النوع اثناء الكلام على القضية الثانية

واللغة حتى هذه الحالة لا ميز فيها بين الاسم والفعل والحرف الا القرينة فاللفظة الواحدة تستعمل تارةً اسماً وطورًا نعتاً واخرى فعلاً واخرى اداة اجابةً لدعوة الاحتياج فالصينيون يعبرن بقولهم 'توان' عن معانٍ عدة تعود الى اصلٍ واحد فيقصدون بها 'كوّر' او 'أحاط' او 'مكوّر' او 'كرة' او 'حول' الظرفية الى غير ذلك من امثال هذه المعاني ونظرًا لقلة الفاظ اللغة في هذه الحالة يطلقون اللفظة الواحدة على معانٍ تقرب من معناها الاصلي كما هو الحال في اللغة الاكادية فان لفظة واحدة مؤلفة من مقطعٍ واحد تدل على معانٍ تبلغ الخمسة عشر والاصل فيها جميعها واحد كقولهم ;ca؛ او ;ga؛ فانهم يقصدون بها 'فم' او 'وجه' او 'عين' او 'اذن' او 'شكل' او 'مقدم' او 'رجل' او 'نظر' او 'تكلّم' او 'مدينة' (الاصل فيها وجه المدينة)

ولا يمضي على اللغة مدة من الزمن حتى يقع النحت في الفاظها فتفقد الادوات معناها وتتولد صيغ الاشتقاق ويعد المجازيده فيغير في مدلولات الالفاظ وتسمو

مدارك الانسان فيحدث لديه معانٍ جديدة فيضع لها الفاظًا جديدة لم تكن من ذي قبل فياخذها لديه ويتنوع بين تركيب واستعارة وربما مدّ يده الى اللغات الاخر فاستعار الفاظًا لمعانٍ حادثة ماخوذة عن المتكلمين بها

ثم ترتقي اللغة درجة اخرى فتبلغ مبلغ اللغة المصرية القديمة التي قد توفر فيها عدد كاف من الادوات والظروف لكنها تشارك المتقدم ذكرها بانها لاتميز للزمن او الشخص في افعالها والادوات التي تحسب ضرورية في الطائفة الارية والطائفة السامية في تركيب الازمنة والمشتقات لا وجود لها مطلقًا في اللغة المصرية والتصريف الفعلي يقوم فيها باضافة الضمائر الى الاصل المتضمن الحدث اضافة بسيطة بدون تغيير في اصلها او اشارة الى مقصد المتكلم والتمييز في ذلك كله موكول بالقرينة ولا وجود في لغتهم لما يسمّونه عندنا مزيدات الافعال فالاصل هو الذي يقوم في التكلم مقام سائر تنوعات معناه. وتشاركها ايضًا باطلاق اللفظة الواحدة على الاسم او الفعل او الحرف فعندهم ;aa مثلاً تفيد قولنا عظيم فيختلف موداها باختلاف موقعها فتجي بمعنى ' جدًّا ' او ' عظيم ' او ' رجل عظيم '

ثم ننتقل خطوة اخرى الى اللغات الشرقية (الاّ العربية) فنرى فيها الاشتقاق ومميزات الجنس في الاسماء والنعوت واشباهها لكننا نرى فيها نقصًا تشارك فيه اللغة المصرية اعني خلوها من صيغ التفضيل . فالصفة المشبهة عندهم تقوم مقام انواع التفضيل الثلاث فيقولون مثلاً في الصفة المشبهة ' هذا حسن ' وفي افعل التفضيل ' هذا حسن من ذاك ' ويقصدون بها ' هذا احسن من ذاك ' واذا ارادوا تفضيل الفرد على سائر افراد نوعهِ قالوا ما يماثل قولنا ' ملك الملوك ' ويقصدون بها قولنا ' اعظم الملوك ' او الاعظم بين الملوك

ثم نصعد خطوة اخرى الى اللغات الآرية الحديثة المتوفرة فيها سائر هذه المميزات لكنها تشارك المتقدم ذكرها بخلوّها من مميزات حالات الاعراب كالرفع

والنصب والجرّ واللغات التي من هذا النوع هي الفرنساوية والانكليزية وغيرها وتمييز احوال الاعراب فيها يقوم بالحاق ادوات خاصة معظمها حروف جرّ او بتقديم الالفاظ وتأخيرها فالفرنساويون يقولون le lion tue le tigre اي الاسد يقتل النمر واذا ارادوا العكس عكسوا ترتيب العبارة فقالوا le lion tue le tigre وفي الانكليزية the lion kills the tiger اي الاسد يقتل النمر و the tiger kills the lion النمر يقتل الاسد وهكذا في الاضافة وغيرها ومعلوم ان لغة عامتنا نظرًا لاهمال حركات الاعراب قد اصبحت من هذا النوع وليس كذلك لغتنا العربية الفصحى فان التقديم والتأخير قلما يؤثران في المقصود من العبارة اذا حُفظت حركات الاعراب فاننا نقول قتل الاسدُ النمرَ وقتلَ النمرَ الاسدُ والاسدُ قتلَ النمرَ والاسدُ النمرَ قتلَ والنمرَ الاسدُ قتلَ (قتلهُ) والنمرَ قتلَ الاسدُ وجميعها تفيد ان الاسد هو القاتل والنمر المقتول واذا اردنا العكس لا نحتاج الا لتغيير حركات الاعراب كما لا يخفى وهكذا في اللاتينية واليونانية ولا ريب ان هذا ارقى ما وصلت اليهِ اللغات حتى الآن

فقد اتضح مما تقدم ما هي الطريقة الطبيعية للتكلم وما هي الاحوال التي يمكن ان تمر عليها اللغة قبل ان تبلغ مبلغ لغتنا من الارتقاء والتهذيب ولزيادة الايضاح اقول ان اللغة قبل بلوغها ذلك المبلغ تمر على اطوار خمسة

الطور الاول ما احتيج فيهِ الى الاشارات

" الثاني ما استُغني فيهِ عن الاشارات على حين ليس في اللغة شيءٌ من الادوات او ما يقوم مقامها

" الثالث ما قامت فيهِ الالفاظ الدالة على معنى في نفسها مقام الادوات

" الرابع ما استقلّت فيهِ الادوات بنفسها فاخرجت عن معانيها

الاصلية وتميزت فيهِ صيغ الاشتقاق وسائر التصاريف الاسمية

" الخامس ما بلغت فيهِ ضروب التراكيب مبالغها من الدقة في التعبير وعدم وقوع الالتباس وظهر فيهِ الاعراب

فاللغة العربية لم يفتها شيء من هذه الاطوار فبعد أن مرّت على كل ما تقدم ذكره منها بلغت مبلغها الحاضر من الغنى بالالفاظ والمعاني الاَّ انَّ هذه الالفاظ مهما تعددت وتنوعت لا تخرج عن ان الاصل فيها الفاظ قليلة العدد بسيطة الدلالة احادية المقطع معظمها ثنائيُّ الاحرف وربما تبادر لذهن البعض ان المضاعف اولى بكونهِ اصلاً الاَّ ان القائل لم يفطن الى ان التضعيف دخيل كما سيجيء

وعندي ان الالفاظ الثنائية الاحادية المقطع هي الاصل في كل ذلك بدليل ان الاصول اللغوية في سائر اللغات هي احادية المقطع وان لم تكن جميعها ثنائية الاحرف . ففي اللغات الآرية لنا جذور قليلة العدد هي اصل لجميع المشتقات وهذه الجذور احادية المقطع على الاطلاق

منها :I؛ اصل معنى الحركة البسيطة و;ka؛ الاضطجاع و;ak؛ الحركة السريعة و;sta؛ الوقوف و;as؛ او ;sad؛ الجلوس و;pad؛ المشي و;vas؛ البقاء و;sak؛ الالحاق و;vart؛ العود و;sarp؛ الزحف و;pat؛ الطيران و(وعندي ان هذه و:pad؛ المتقدم ذكرها من اصل واحد لتوافقهما في اللفظ والمعنى) و; plu؛ الفيضان و;ad؛ الاكل و;pa؛ الشرب و;an؛ النفخ الخ الخ . .ومن هذه الجذور تتولَّد كلمات عديدة لمعانٍ متنوعة ترد بالاستقراء الى معاني جذورها

وهكذا الحال في اللغات الشرقية اخوات العربية فان الاصول الفعلية والاسمية ساكنة الاواخر فيها على الاطلاق والمضاعف قليل الاعتبار لفظاً في تلك اللغات الاَّ حملاً على العربية وطلباً للتعليل اعتماداً على كون الاصول المجردة جميعها ثلاثية الاحرف على انهم لا ينطقون بالمضاعف الاَّ مقطعاً واحداً

مخففًا مثالهُ في السريانية ܚܫ 'حَش' 'تألم' وܟܣ 'كس' 'قصم' و ܙܠ 'زَل' 'نقص' وܚܡ 'حم' 'حمي' وܚܟ 'حك' (تلفظ خ) 'حك' وܚܢ 'حَن' 'تحنن' الخ وفي العبرانية גז 'جز' جزّ وגר 'جر' جرّ ودק 'دَق' دقّ وזך 'زك' (تلفظ زخ) طهر الى آخره

فيرجح بقياس التمثيل ان اواخر الافعال كانت ساكنةً اصلاً في العربية الّا ان اسلافنا قاطني البادية تفننوا فيهِ على طرق مختلفة . والامم يختلفون من جهة اواخر الكلم فمنهم من تنتهي الفاظ لغتهم بما ندعوه في لغتنا سكونًا ومن هؤلاء المتكلمون باللغات الشرقية الّا العربية على ان من العرب انفسهم من يستثقلون الحركة في اواخر الكلم فلا ينطقون بها وهم قبائل مضر واكثر المتكلمين بالعربية لهذا الآن ومن الامم من لا يرتاحون الا لتحريك الاواخر كعرب قريش وكالايطاليين والاسبانيوليين ومن هذا النوع ايضًا لغة البرابرة القاطنين مصر العليا وبعض السودان اعني ما بين اصوان ودنقلا . ومن الغريب كون اللغة الاشورية يكاد لا يوجد فيها لفظة ساكنة الاخر بل معظم الفاظها متحركة

فبناء عليهِ يثبت ان الاصول الثنائية العربية هي في الاصل احادية المقطع مخففة . اما كونها اصلاً لمعظم الفاظ اللغة فقد تبين مما تقدم شرحه وزيادة للايضاح اذكر بعض التفصيلات فاقول

ان المضاعف والناقص والاجوف هي اول تنوعات ذلك الاصل لانها اقربها اليهِ فما المضاعف الا ذلك الاصل مشددًا والناقص هو عينهُ مع تحريك الحرف الثاني وما الاجوف الّا ذلك المقطع ممدودًا . وما قولنا ان الاصول الفعلية والاسمية ثلاثية الاصل الا اصطلاحًا ورغبةً في ربط لغتنا فاخذنا في تعليل الناقص والاجوف والمضاعف تعاليل لا طائل تحتها وزعمنا ان أَب اصلها 'أبو' و'أخ' اصلها 'أخو' و'دم' اصلها 'دَمو' او 'دَمي' الى غير ذلك مما لا

دليل على صحتهِ على اننا ما اجدرنا بتركها وشأنها والبحث عن حقيقة وجودها على هذه الصورة

اما السالم ففيهِ شيء من التكلف ولا يكوّن غالبًا الا بنحت المركبات او ترخيمها كما سبقت الاشارة ولا بد من ذكر بعض الامثلة ابين بها كيف انهُ من مقطع واحد ثنائي تولد مئات بل الوف من الافعال والاسماء الدالة على معانٍ مختلفة حسية ومعنوية ترد جميعها بالاستقراء لفظًا ومعنىً الى هذا الاصل الذي هو حكاية صوت

مثال ذلك «قط» حكاية صوت القطع وكونها حكاية صوت القطع امر حقيقي لا ريب فيهِ بدليل وجودها في سائر اللغات على اختلاف انواعها ففي التركية «كمك» وفي الانكليزية «cut» وفي الفرنساوية «casser» ومثل ذلك في اللغات الشرقية . وفي المصرية «خت» وقد شقوا منها نحتًا فقالوا «كت» صغير وربما كان قصدهم بها في اول الامر قطعة صغيرة ثم اطلقوها على كل صغير اما كونها اصلاً لالافٍ من المشتقات فيتضح مما يأتي

ان تنوعات «قط» هي قطَّ وقطعَ وقطبَ وقطفَ وهذان الاخيران يتضمنان مع القطع معنى الجمع وقطمَ وقطلَ ويجانس قط «قص» ومنها قصَّ وقصمَ وقصلَ وقصبَ وقصرَ وهذه تتضمن معنى النقص وقصفَ وقصا جميعها تفيد القطع ويجانسها «قض» ومنها قضَّ وقاضَ وقضمَ وقضبَ وقضعَ ويجانس قص ايضًا «كس» ومنها كسَّ وكسرَ وكسعَ وكسحَ وكسمَ ويجانس قض «جذ» ومنها جذَّ وجذبَ وجذرَ وجذفَ وجذمَ وجميعها من باب القطع ويجانس جذ «جز» ومنها جزَّ وجزأَ وجزرَ (ومنها جزيرة) وجزعَ وجزحَ وجزلَ وجزمَ ويجانس كس «خز» ومنها خزَّ اي طعن وخزعَ قطعَ وخزقَ وخزلَ وخزمَ ثقبَ فترى في جميع هذه التنوعات ان معنى القطع واضح تمامًا غير انهُ في تنوعات اخرى قد بعد عن الاصل وفي اخرى فقد تمامًا مثال ذلك يجانس خز «خص» ومنها

خصّ بمعنى افرد فيقال خصّهُ بالشيء فضلهُ بهِ وافرده فترى انهُ يلمح فيهِ معنى القطع المجازي فكانهُ قال خصهُ بالشيء اي قطعهُ عن سواه وخصمَ بمعنى الخصام او الشقاق او الانقسام فاتى بمعنى القطع لكن عن بعدٍ وهكذا في خضمَ فانها لم تزل تتضمن معنى القطع وليس كذلك في خضعَ وخضلَ ويجانس هذه "خد" ومنها خدّ شقّ وخدع فانها تستعمل بمعنى اراد بهِ المكروه من حيث لا يعلم وقد قال البيضاوي «الخدع ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتزلهُ عما هو فيهِ او عما هو بصدده من قولهم خدع الضبُّ اذا توارى في جحره» ولا يخفى انهُ يلمح فيها بعد هذا التعبير معنى القطع وخدَرَ البنت الزمها الخدر اي قطعها عن المداخلة بين القوم وخدشَ وخدفَ وهذه الاخيرة لم تزل تفيد القطع صريحًا اما خدم فقد فقدت المعنى الاصلي تمامًا ويجانس خذّ "خذ" ومنها خذعَ قطع وكذلك خذعبَ وخذعلَ وخذمَ اما خذلَ فقد اصبحت بمعنى خيب لكنها عند الاستقصاء تراها تتضمن معنى الانقطاع لانهم يقولون خذلت الظبية اذا تخلّفت عن صواحبها وانفردت او انقطعت او تخلفت عن القطيع ويجانس قصّ "قس" ومنها قسمَ وقسطَ فان هذه الاخيرة وسائر الافعال المتعلقة بالاحكام العقلية تردّ الى معنى القطع منها قولنا قضى وعدلَ وفصلَ وحكمَ وقسمَ وقسطَ وهكذا الافعال المتضمنة معنى القسم منها أقسمَ وحلف . اما بقية سلسلة قسّ فلا يلمح فيها هذا المعنى ويجانسها "قش" ومنها قشرَ تتضمن مع القطع معنى النزع وكذلك قشطَ وقشعَ اي فرّق اما قشبَ فلا تدل على نوع من القطع لكن قشبر المركبة منها ومفادها جمع قِطع الحطب فملموح فيها والظاهر ان قشبَ كانت لها هذه الدلالة ايضًا وقد خسرتها بالاستعمال ولا تزال العامة تقول قشّبت الشفة اي تشققت من التشب . ويجانس "قط" ايضًا "قد" ومنها قدّ باتم معاني القطع اما قدرَ اي قضى وحكم وقسمَ الرزق وقدعَ امضى والفحلَ ضرب انفهُ بالرمح ومن الشراب شربهُ قطعًا قطعًا ففيها معنى القطع مجازًا كما رأيت اما قدسَ

وقدمَ فربما خلتا منهُ اطلاقًا . وهناك تنوعات اخرى اضرب عنها صفحًا اذ قد ذكرت ما فيهِ الكفاية ولا بد لي من الاشارة الى التنوعات الحاصلة بزيادة حرف في مكان الفاء نحو نقض من قض ومقط من قط اي كسر او في مكان العين نحو قرص من قص وقرض من قض وقس عليهِ

وقد تجري التنوعات على طرق اخرى مختلفة فتولد اسماء او نعوتًا جامدة حسب الظاهر كما رايت في 'كِت'' المصرية وما يشابهها فيما بقي من اللغات كقول الانكليز kitten بمعنى هرير او هر صغير . وكما يظهر من كلمة 'يد' فانها طالما عرفت اسمًا جامدًا وربما يستغرب البعض اذا قلت انها مبدلة من 'قط' او احدى رفيقاتها لكني آمل اقتناعهم عند ايراد الدليل . فابدال 'يد' من 'قط' او 'قد' قريبٌ جدًا اذا روعي تقارب المعنى لان اليد هي مصدر القطع واوّل استماع الانسان حكاية صوت القطع انما كان بواسطتها فلا غرو اذا استعمل ذلك الصوت للدلالة عليها ونسبة اليد للقطع معنى كنسبة قاطع الى قطعَ ولا يخفى ما هنالك من المشابهة وليكن معلومًا ان صيغة اسم الفاعل من الثلاثي المجرد هي المصدر بعينهِ مع بعض التغيير

اما ابدالها لفظًا فقريب ايضًا لاننا بتتبعنا لفظة 'يد' واستقرائها في اللغات الشرقية نرى انها في العبرانية والسريانية كما في العربية تمامًا اما في الاشورية فنرى انها 'غت' وفي البابلية 'كت' وهذه حكاية صوت القطع بعينهِ

فهذه التنوعات مع ما فاتنا ذكره تفوق المئة عدًا ولا يبرح من بال القارئ ان كلاً منها اصل لمشتقات وتنوعات جمة لفظًا ومعنى حقيقة ومجازًا وايضاحًا لذلك نذكر مشتقات وتنوعات احدها 'قطعَ' ومعناها اصلاً أبان او فصل فمنها قطعَ فلانًا عن حقهِ منعهُ . وانقطع الحدثُ الصلاة ابطلها . وفلان في القول جزمَ وقطع الطريق منعهُ وقطع النهر عبره . وقطع لسانهُ اي اعطاه احسانًا حتى اسكتهُ عن هجوه . وقطع فلانٌ الحبل اختنق وقطع الحوض ملأهُ الى

نصفهِ ثم قطع عنهُ الماء وقطع عنق دابتهِ باعها. وقطِع الرجل او قطُع لم يقدر على الكلام. وقطِعت يده قطعًا وقطعةً وقُطعًا وقُطاعًا بانت بقطع او بداء عرض لها. وقطع بفلانٍ مجهولاً عجز عن سفرهِ او حيل بينهُ وبين ما يؤملهُ تأمل. وقُطع فلان بئس او عجز. قطّعهُ قطعهُ شديداً او بكثرة. قطّعني الثوب كفاني لتقطيع. يقال هذا الثوب يقطّعك قميصًا. وقطّع فرسهُ الخيل سبقها. وقطّع الله عليهِ العذاب لوّنهُ وجزّأهُ. وقطّع الخمرَ بالماء مزجها. وقطع العروضي الشعر حللهُ الى اجزائهِ العروضية. قاطعهُ ضد واصلهُ. وفلان فلانًا بسيفهما نظرا ايهما اقطع. وقاطع فلانًا على عمل ولاه اياه باجرةٍ معينة. واقطع الامام الجند البلد جعل لهم غلته رزقًا. وقد دعوا اسم ذلك المكان الذي يقطع قطيعةً. وأقطع فلانًا اخشابًا اذن لهُ في قطعها. اقطعت الدجاجة أقفّت. واقطع النخل اصرم. وماء الركية ذهب. واقطع القوم انقطعت عنهم مياه السماء. وفلانًا جاوز بهِ نهرًا. والرجل انقطعت حجتهُ وبكتوهُ بالحق فلم يجب. والغريب عن اهلهِ انقطع عنهم وبانيهم. وتقطّع الشيء مطاوع قطّع. تقطعت الخمر امتزجت. وتقطعوا امرهم بينهم تقسموهُ. وتقاطعا ضدّ تواصلا. وانقطع الشيء مطاوع قطع والسيف انكسر. وماء الركيّة ذهب. والغيث احتبس. والنهر جفّ او حُبس. وانقُطع بالمسافر على المجهول عطبت دابتهُ او نفذ زاده فانقطع بهِ السفر دون طيهِ. فهو منقطع بهِ. واقتطع من مالهِ قطعةً اخذ منهُ شيئًا واستقطعهُ بلدًا سالهُ ان يُقطعهُ اياها. القاطع اسم فاعل والحاجز والمِقطع الذي يقطع بهِ الثوب والاديم ونحوها وقيل القاطع هو المثال الذي يقطع عليهِ وسيف قاطع اي ماضٍ. ولبن قاطع اي حامض. وبرهان قاطع اي يقطع الحجة اي مقنع. وقاطع الطريق اللص. العامة تقول قاطع النهر اي الشاطئ المقابل. ودواء قاطع اي ذهبت قوته. والطعام القاطع عند النصارى ما ليس من لحوم حيوانات البر ولا من البانها. والمنقطع عن

تناول غير هذا الطعام يقال له قاطع ايضاً . القاطعية عند التجار الكمية التي تفنى بالاستعمال من طعام و بضاعةٍ ونحوها . القِطاع المِقطع الذي يقطع بهِ الثوب والاديم ونحوها والدراهم . وزمن القطاع اي زمن صرام النخل . والقطاع مصدر وعند المهندسين يطلق على شيئين احدهما قُطاع الدائرة والثاني قطاع الكرة . القطاعة اللقمة وما سقط من القطع وطائفة تقطع من الشيء او هي مختصة بالادبم . القِطاعة عند النصارى الاقتصار على الطعام القاطع المذكور انفاً . القطّاع عند البنائين الذي يقطع حجارة البناء من الصخر . وآلتهُ القطّاعة . وحرفته القِطاعة . والقطع ابانة بعض اجزاء الجسم فصلاً . وقطع اللص يراد بهِ قطع يده . وقولهم ان الامر واقع قطعاً النصب فيهِ على المصدر اي اقطع بهِ قطعاً بمعنى اجزم . او على الحال اي مقطوعاً بوقوعهِ . والقطع عند المتقدمين من القرّاء الوقف . والمتاخرون منهم فرقوا بينهما فقالوا القطع عبارة عن قطع الصوت عن الكلمة زمناً يُتنفس فيهِ عادةً بنية استئناف القراءة لا بِنية الاعراض عنها . وهو عند العروضيين حذف اخر الوتد المجموع الواقع في عروض البيت او ضربه واسكان المتحرك قبلهُ كحذف النون من متفاعلن وتسكين اللام فيصير متفاعلْ ويُنقل الى فاعلاتن . ويسمى ذلك الجزء مقطوعاً . والقطع عند النحاة ترك التبعية والعدول الى خلافها كقراءة بعضهم الحمد لله الحميدُ برفع الحميد على انهُ خبرٌ لمبتدإٍ محذوف اي هو الحميد ونصبهِ على انهُ مفعول بهِ لفعل محذوف اي اعني الحميدَ . وعند اهل المعاني الفصل وهو ترك العطف . وذلك يكون بين الجمل لكون عطف الواحدة منها على الاخرى يوهم عطفها على غيرها مما ليس بمقصود عطفها . و يطلق القطع عند الحكماء على فصل الجسم بنفوذ جسم اخر فيهِ وعند الاصوليين على معنيين احدهما نفي الاحتمال اصلاً . والثاني نفي الاحتمال الناشيء عن دليل . وهمزة القطع عند الصرفيين التي تثبت لفظاً في الابتداء والدرج جميعاً . والقِطع ما تقطّع من الشجر ونصل صغير عريض وظلمة

اخر الليل او القطعة منهُ او من اوله او ثلثهِ والرديّ من السهام والبساط او النمرقة او طنفسة يجعلها الراكب تحته وتغطي كتفي البعير . وثوب قِطعٌ وأقطاع اي مقطوع . القُطع البهر وانقطاع النفس وجمع الاقطع والقطيع واصابهم قُطعٌ او قِطعٌ بالكسر اي انقطع ماء بيرهم في القيظ . القِطع القطعة من الليل . ورجل قطع اي هاجر رحمهُ وقاطعها وعاقها . القطعاء موَّنث الاقطع . ورحمٌ قطعاء لم توصل . القطعة الحصة من الشيء . وقطعة علم للانثى من القطا . القطعة عند المهندسين كالقطاع والقطعة من الشعر ما كان سبعة ابيات فما دون وقيل عشرة والقُطعة بقية يد الاقطع . وموضع القطع . القطوع من النوق التي يسرع انقطاع لبنها . القطيع الطائفة من الغنم والنعم . وهو قطيع القيام اي منقطع القيام ضعفًا او سمنًا . وامراة قطيع الكلام اي غير سليطة . وهو قطيعهُ او شبيههُ في خلقه وقدّهِ . القطيعاء ضربٌ من التمر . القطيعة الهجران . الاقطع المقطوع اليد . وحمام اقطع اي في بطنهِ بياض . الانقطاع في المناظرة اختتام البحث بثبوت دعوى المستدل او دعوى المعترض . والتقطيع مغص في الامعاء « سموه تقطيعًا لان المصاب بهِ يحس كأن امعاءه تتقطع »

المِقطاع من لا يثبت على مواخاة . المقطع حرف مع حركة او حرفان ثانيهما ساكن وقيل هي الحركة الاعرابية ويطلق المقطع ايضًا على مخرج الحرف من الحلق او اللسان او الشفتين . مقطَّع الاسحار الارنب المقطعات من الشعر قصاره وأراجيزه . اه (١)

هذه تنوعات فرع واحد من تفرعات " قط " فقس عليهِ ما بني منها واجمع تر انها تفوق الآلاف عدًّا

ومعلوم ان هذهِ التنوعات لم تكن مقصودة عند اول استعمال قطعَ بل حدثت بعد ذلك تبعًا لاحتياجات البشر ووفقًا لما استدعته الظروف الامر

١ عن محيط المحيط ببعض اختصار

الذي لا ينفك ولن ينفك جاريًا الى ماشاء الله فان كثيرًا منها قد طرأ عليه بعد ان جمعت اللغة تنوّع اقتضته الاحوال وكثيرًا منها أُبطل استعماله والقي في زوايا الاهمال ولا يخفى على كاتب في اللغة ان كثيرًا من المعاني المجازية للالفاظ قد اهمل لدواعٍ غير معروفة تمامًا وكلٌّ يعلم ان الالفاظ على الدوام آخذة باكتساب معانٍ جديدة إما بين الكتّاب للتعبير عن أفكارٍ حديثة او بين العامة جريًا على الناموس العام — فالعامة تقول ' رجل مستور ' ويقصدون بها انه في درجة متوسطة من المعيشة. فلأول وهلة لا يشاهد من علاقة بين اللفظ والمعنى اذ أن ' مستور ' مشتق من سترَ اي غطّى لكنا نعلم انهم قصدوا بها بادىء بدء ان هذا الرجل ليس فقيرًا لدرجة تحمله على الاستعطاء او الاستمرار على حالةٍ تشهر امره بل هو قادر على اكتفاء عائلته بحيث لا يعلم الاخرون باحتياجهم فهم مستورون عن اعين القوم. وتصرفوا بها فقالوا « بدنا السترة » بمعنى لا نطلب من الاحيا جات الاّ سدّ العوز وامثال هذه كثيرة على السنة العامة يسمعها كلٌّ منا ومما لا بد من ذكره ان هذا التنوع المعنوي يصحبه غالبًا تنوع لفظي فهم يقولون ' ضهر ' بمعنى خرج واصلها بلا ريب ' ظهر ' اذ ليس للاولى من اثرٍ في كتب اللغة فانظر كيف انها تنوعت لفظًا ومعني ولا يخفى ما هناك من النسبة بين معني الظهور والخروج لكنهم لم يكتفوا بذلك بل اطلقوا ' ضهرَ ' فصارت تفيد عندهم مفاد جملة فيقولون ضهر او خرج ويريدون بذلك « خرج لقضاء حاجة نفسه »

وتستعمل العامة ' صلاحية ' للدلالة على اناء للطعام كالقصعة واذا بحثنا عن اصل هذه اللفظة نرى انها مبدلة من ' صراحية ' التي وضعت اصلاً للدلالة على الخمر الخالصة ثم استعملت مجازًا لآنية الخمر ثم اطلقت على اناء الطعام وهناك سوال آخر ما هي العلاقة بين هذه التسمية والخمر فنقول ان ' صراحية ' مشتقة من ' صرُح ' بمعنى صفا فاطلقت على الخمر الصافية ثم على آنيتها ثم على آنية الطعام

فتامل

ولدينا من جملة افعال القتل قولهم 'نيشن' والباحث يرى انها مأخوذة من نيشان وقد اكتسبت هذه الدلالة من وضع المجرمين احيانًا هدفًا للرصاص جزاء ما كسبت ايديهم والهدف يدعونه نيشانًا فقالوا نيشنة اي قتلة بجعلهِ هدفًا يرمى عليهِ رصاص البنادق . واظن انهُ لا تمضي مدة حتى تطلق هذه اللفظة على اي نوع من القتل . ومن انواع القتل عندنا 'شنق' وهذه كانت تدل قبلاً على العذاب وفي السريانية يقال 'شنق' اي عذّب فحمل معناها على القتل شنقًا لانهُ من اشد ضروب العذاب وغير هذه الامثال كثير ما نشاهده ونسمعهُ كل يوم

فما المانع من حصول مثل هذه التنوعات الاعتيادية في اللغة قبل ان جمعت اذ كان يرافق التنوع المعنوي تنوع لفظي فخصوا كل تنوع معنوي باخر لفظي فوصلت الينا الافعال كما نشاهدها

وما صح على 'فط' يصح على غيرها فمن 'هب' التي هي حكاية صوت اللهب اذا نفخته الريح او هو الصوت المسموع اعتياديًا ممن يعمل ما يقتضي لهُ صرف قوة عظيمة دفعةً واحدةً وقد تصوروا فيها معنى الهيجان لنا سلسلة متعددة الحلقات هي هب وهبج وهبذ وهبش وهبص وهبا وسلسلة لهب ورهب وسلسلة هرب وهكذا 'لت' حكاية صوت اللطم ويقاربها في اللاتينية 'laedo' بمعنى اضرّ او جرح فان منها سلسلة لتّ ولتب ولتح ولتخ ولتد ولتذ ولتغ ولتم ويجانس 'لت' 'لط' ومنها لطأ والطأ ولطث ولطح ولطخ ولطس ولطش ولطع ولطم ولطه وجميعها تتضمن معنى الدق والشد ومنها سلسلة اخرى اولها لبط وهكذا في 'بش' و'فق' وسلسلتيهما وكثير مما تقدم ذكرهُ عند الكلام على 'القضية الثالثة' ولكلٍ من هذه الفروع تنوعات لا تقل عن التي لقطع المتقدم ذكرها

وجملة القول ان من الامور الراجحة قياسًا والجلية استقراءً ان لغتنا مؤلفة اصلاً من اصولٍ قليلة احادية المقطع ثنائية الاحرف في الاغلب معظمها مأخوذ

عن محاكاة الاصوات الخارجية وبعضها عن المقاطع الطبيعية التي ينطق بها الانسان غريزياً وانهُ من هذه الاصول القليلة قد نشأت وارتقت بارتقاء افكار المتكلمين بها وتعددت الفاظها بتعدد احتياجاتهم وتنوعت طرق التعبير ومعاني الالفاظ بتنوع ظروفهم وكل ذلك جرى على طرقٍ اربع هي النحت والابدال والقلب والاستعارة

وهل يصعب علينا الاقتناع بعد ان شاهدنا عياناً ان من مقطع واحد هو حكاية صوت تولّد ما فوق المئة من الاصول الفعلية الثلاثية ومن كلٍّ من هذه الاصول لنا تنوعات واشتقاقات معنوية ولفظية تبلغ المئة في البعض والخمسين في البعض الاخر وقصارى الكلام ان من هذه اللفظة الثنائية الاحرف الاحادية المقطع قد تولدت افعال واسماء تفوق الآلاف عداً . ويؤيد ذلك ما تقدم شرحهُ عن الالفاظ المطلقة وكيف انها مع تعدادها ناشئة عن لفظة واحدة او بضعة الفاظ

ولا يفوت القارىء اللبيب ان جميع هذه التفرعات ومعظم تنوعاتها وسائر الادوات اللغوية وطرق الاشتقاق والتصريف قد بلغت معظم ارتقائها في ازمنة غاب عن معرفتنا حدها . اذ ان اقدم ما جاء بهِ التاريخ كأمس بالنسبة اليها على حين لا ريب لدينا انها بلغت ذلك المبلغ وهي لم تزل في حجر امها مع اخواتها الشرقيات والمقابلة تثبت لنا ذلك جلياً

فلا نطمع اذاً باستطاعتنا تطبيق جميع الاصول اللغوية على اصوات تحاكيها في الخارج ونحن لا نعلم عن منشإ اللغات الشرقية شيئاً فاللغة السامية ليست الّا لغة وهمية ظنّ اللغويون اسبقيتها للُغات الشرقية وكونها اصلاً لها استدلالاً بما شاهدوه في الفاظها وطرق تعبيرها وقياساً على ما سواها

وهناك طريقة اخرى لوضع الصفات والنعوت وردت في « سر الليال » ويعبر عنها المؤلف بحكاية الصفة وقد قال فيها ما نصهُ

« اما حكاية الصفة فهي نظم حروف يتوهم الناظم منها انها تدل على صفة شيء باعتبار ما في تلك الحروف من اللين والترخيم او الشدة والتفخيم كقولهم مثلاً 'شيء منمنم' اي مزخرف فهو نحو توهم الفرنسيس لفظة 'مينيم' للشيء القليل الوجيز وشيء 'ململم' اي مدور مضموم مجتمع وقولهم 'خجخاب' لرخاوة الشيء المضطرب والعامة تقول 'مخجب' للسمين المضطرب وكقولهم 'امرأة رجراجة' اي يترجرج عليها لحمها وربما التبست هنا حكاية الصفة بحكاية الصوت وكقول العامة 'مربرب' للسمين المكتنز وهو في لغة الانكليز 'بلمب' بفتح اللام وسكون الميم وكقولهم 'المهفهف' للمشوق البدن و'النع' للرجل الضعيف والعامة تقول 'منعنع' للطيف المترفه وكقول الترك 'نازك' ونحو 'السلسل' للماء العذب او البارد و'السلس' للسهل اللين و'السلسبيل' اللين الذي لا خشونة فيه و'الوسوسة' لحديث النفس و'الهمس' للصوت الخفي و'الدداح' نقش بلوح للصبيان يعللون به والعامة تقول 'دح' وهي في لغة الانكليز 'دال' و'الحاد' لما يلذع اللسان و'الهجنع' الطويل الضخم ورجل 'عكوك' اي قصير ملزز و'خنجل' و'خنشل' اي ثقيل سمج و'مهبج' اي ثقيل النفس وضخم و'مترقم' لمن لا يشب و'مزكزك' لمن يمر و يقارب خطوه و'زونك' لمن يمشي ويحرك منكبيه وناقة 'زيزفون' اي سريعة و'كز' اي يابس متقبض وشيء 'تافه' لما ليس له طعم و'جهم' للوجه الغليظ المجتمع و'هلتق' للقدم الضخم و'جهضم' للضخم العامة 'وخنجي وخنفجي' للرجل الرخو لا خير عنده وتجوجي للطويل الرجلين ويلحق به نحو بزّه اي غلبه وبش به وهش وماس وترنح وطال وفر ولز وتقزز وقس على ذلك . اه »

الخلاصة

ان لغتنا مهما تعددت الفاظها وتنوعت دلالاتها وكثرت مترادفاتها ومتواردداتها لا تخرج عن كونها نشأت من اصول قليلة العدد بسيطة البناء معظمها مأخوذ عن الاصوات الخارجية تقليداً وبعضها عن الاصوات الطبيعية التي ينطق بها الانسان غريزياً

اما عدم امكاننا ردّ جميع هذه الالفاظ الى اصول تحاكي اصواتاً طبيعية فسببه اولاً بما قد طرأ على اللغة من التغيير دلالةً ولفظاً . ثانياً ما فقدته من الالفاظ التي هي حلقات ضرورية للاستقراء كما تقدم

ولا يخفى انه ليس من الضرورة امكان تتبع جميع الفاظ اللغة العربية الى اصول واضحة صريحة لانها احدى اللغات الشرقية الناشئة من اصل واحد فاذا اردنا الوصول الى الاصول الجذرية المطلوبة علينا اولاً معرفة جذور كلٍ من هذه اللغات ثم مقابلتها جميعاً وردها الى اصول جذرية مشتركة . وهذه التي ينبغي ان تحاكي الاصوات الطبيعية ولنا في هذا الموضوع كلام نبقيه لغير هذا المقام

الفوائد المكتسبة بالفلسفة اللغوية

اولاً . معرفة الدلالة الاصلية للالفاظ والاطلاع على طرق تنوعها فنحسن استعمالها ونضع كلاً في مكانه ان حقيقةً او مجازاً

ثانياً . معرفة بعض احوال اسلافنا الذين عاشوا في ازمنة لم يدركها التاريخ

كما رأيتم في الدين او العلم كما شاهدنا في كلمة « شهر » التي بتتبعنا اصلها علمنا ان اسلافنا كانوا يحسبون اشهرهم على الدورة القمرية

ثالثًا . اذا علمنا بوجود الفاظ أعجمية معربة وعلمنا اللغة الماخوذة في عنها نستفيد ان اسلافنا استفادوا هذه اللفظة وما يتعلق بها من ابناء تلك اللغة فاذا كانت اسما لنبات او حيوان نعلم ان ذلك النبات او ذلك الحيوان لم يكن موجودًا عند العرب وانهم اتوا به من عند القوم الذين هذه التسمية في لغتهم وان كانت من الالفاظ الاصطلاحية العلمية نحكم غالبًا انهم اخذوا العلم المتعلقة هي به من هذه اللفظة في لغتهم . فان لفظة 'اسطرلاب' تشهد صريحًا ان العرب اخذوا علم مقياس ارتفاع الكواكب عن اليونان وقولنا 'اسطقس' (اي العناصر الاربعة الماء والهواء والنار والتراب) يشهد ان العرب اخذوا ما يتعلق باصل المادة عن اليونانيين ايضًا . كما ان لفظة هيدروجين واكسجين تدل على اخذنا الكيمياء الحديثة عن الافرنج ولنا من الجهة الاخرى كلمات عربية الاصل مستعملة عند الاعاجم فالعلمية منهـــا تفيد ما تفيده كلماتهم العلمية عندنا فقولهم alcool وel-embic وما شاكل يشهد باخذهم الكيمياء القديمة عن العرب وقس عليه

رابعًا . توسيع دائرة العقل بالتعود على الابحاث الفلسفية وعندي ان هذه من اثمن الفوائد

تمت

تنبيه . قد الجأتنا السرعة الى الاغضاء عن بعض الاغلاط المطبعية التي لا يخفى اصلاحها على اللبيب فنرجو المعذرة